بسمة بدران

مُعَذِبَتي

اسم الكتاب: مُعَذِبَتي

تأليف: بسمة بدران

الإخراج الداخلي: القسم الفني بالدار

تدقيق لغوي: عبد الرحمن غريب

تصميم الغلاف: محمد علي

الطبعة الأولى: 2023

رقم الإيداع: 23844 /2022

الترقيم الدولي: 978-977-86399 - 6 -4

دار القاهرة اليوم

ج.م.ع
الإسكندرية

Email: mazagelkotob@gmail.com

Mobile: 01024541339

إهداء

إهداء إلى كل من ستقع عيناه على هذا الكتاب..

إهداء إلى عائلتي فردًا فردًا..

إهداء إلى جميع أصدقائي..

وأخص بالذكر صـــديقتي وأختي ورفيقة دربي، والســـبب في ظهور هذا الكتاب للنور بعد الله عز وجل..

" رانيا زين" شكرًا من كل قلبي.

إهداء إلى دار مزاج الكتب التي دعمتني وساندتني.

مقدمة

كنَّا نعيش قصة حب أسطوريّة ولدت بين يدي..

أنا من سميتها.

عندما ابتسمت ابتسامتها الأولى كانت لي..

رغم فارق العمر الذي بيننا كنتُ أشعر أنها أمي..

عشقتها حد الجنون!

كنت أنتظر وأعد الأيام والليالي كي تكون لي..

لكن، عندما جاء هذا اليوم حدثت الطامة الكبرى فباتت علاقتنا محرّمة فلم يبق أمامنا سوى الفراق المحتوم،

ومن هنا تنتهي قصة العشق وقصة العذاب والفقدان.

الفصل الأول

أحبكِ ليس لأنكِ الأجمل

ولا لأنكِ الأفضل

بل أحبكِ لأنكِ أنتِ

****

في الفنادق الشــهيرة وبالتحديد في إحدىٰ القاعات الكبرىٰ التي تمتاز بالطابع الكلاسيكي البحت..

أقيم الحفل السـنوي لمجموعة شـركات النويري.. وقف هذا الشـاب الوسـيم صاحب العينين الرمادية والشعر الفحمي مرتديًا حلة أسفلها قميص أسود أزراره مفتوحة زادته وســامة فوق وســامته، قابل المدعويّين بابتســامة مجاملة.

أخذ يلتفت يمينًا ويسارًا بحثًا عنها فربما قد حضرت وهو منشـغل بالحديث مع أحدهم؛ فهو علىٰ يقين أنها لم تتحدث معه ولم تخبره بحضــورها، أ ثناء بحثه عنها ناداه صديقه المقرب معتز.

الذي هتف: مالك استعد معالي الوزير أدامه دقايق ويشرفنا.

أومأ بعـدم اكتراث فعقلـه مع معـذبتـه التي لم تـاتِ حتى الآن ثواني وتجمـد مكانه عندما أبصرها تدنو منه، تتهادى في فستان وردي قصير للغاية يلتصق

بجسدها وكأنه جلد ثانٍ لها، مطلقة لخصلاتها الفحميَّة التي تصل إلى بعد خصرها العنان.

نظر إلىٰ وجهها بغضب جم فهي لم تكتف بذلك بل بالغت في وضع مستحضرات التجميل.

ضغط على أسنانه وقبض علىٰ يديه بقوة آلمته فدنى منها قابضًا على يدها يسحبها خلفه غير عابئ بنظرات الناس ولا لصياح صديقه معتز الذي هتف: مااااالك انتَ رايح فين؟

يا ابني بقولك الوزير!!

قطع باقي كلماته عندما أبصره يختفي من أمام ناظريه ضرب كفه فوق الآخر بعصبية: مفيش فايدة فيك يا مالك هيفضل حبك ليها لعنة تلحقك منين متروح. زفر بحدة، ومن ثم استدار ليقف مكان صديقه المجنون حيثما يعود.

****

توقفَ بها في مكان بعيد عن الأنظار ثم دنى منها بغتة قابضًا على فكها بقوة جعلتها تصرخ من شدة الألم صائحًا بقوة: انتِي ايه اللي عملاه في نفسك ده انا كام مرة حذرتك من عمايلك السودة دي! ترك فكها فتلقائيًا رفعت يدها تدلكه كي تخفف حدة الألم.

مرر عينيه علىٰ جسدها بوقاحة ثم تشدق بحدة: وايه الي انتِي مش لبساه ده يا هانم!!

رفعت بنيتيها لتواجه رماديتيه وأجابته باستفزاز: ده فستان!

رمقها بغضب سافر ثم جذبها إليه حتى شعرت بأنفاسه الدافئة تلفح صفحة وجهها الأبيض.

فارتعش جسدها بالكامل أغمضت عينيها وانفرجت شفتيها ظنًا منها أنه سيقبّلها كي يزيل أحمر شفاهها كما اعتادت منه، لكنها سرعان ما شخصت عينيها بصدمة حينما وجدته يزيل أحمر شفاهها بمحرمته، بعد أن انتهى ولاّها ظهره وتحدث بثبات عكس ما بداخله: هخلي السوّاق يوصلك يا هنا الحفلة دي للناس المحترمة مش للعاهرات.

ترقرقت الدموع في مقلتيها ثم جذبته من سترته ليلتفت إليها وتشدقت بغلّ: عندك حق العاهرات ملهمش مكان هنا ولا النسوان عشان كدة خد بعضك وامشي يا ابن عمي. قالت كلماتها وانطلقت راكدة للخارج قبل أن يفتك بها تاركة الحفل بأكمله أما عنه فقد تجمد مكانه من هول ما سمعه منها، هو يعذرها كثيرًا انفصالهما الذي قارب من العام ونصف وهو لا ينفك عن إهانتها كي تبتعد عنه وتُخرج حبها من قلبها.

أغمض عينيه مستنشقًا عطرها الذي خلّفته في المكان وتذكر أحد لقائهم.

****

عودة لوقتٍ سابق..

في مكتب الشركة تفاجَأ بها تقتحم مكتبه بدون إذن على الفور أدرك أنها هي ساحرته الصغيرة، ترك ما بيده من أفوق سطح المكتب تأمل مظهرها بنظرة شمولية فاغتاظ كثيرًا حتى ثوب المدرسة يجعلها فاتنة!

رمقته بهيام عندما أبصرته ثاني كم القميص مظهرًا ساعديه القويّين فتحولت نظراتها للغضب، عندما جاء في مخيلتها أن تلك السكرتيرة تراه هكذا، فاندفعت باتجاهه وجلست فوق ساقيه ثم جذبت يده وعدلت كم القميص وأغلقت الزر وكذلك فعلت بالكم الآخر، تأملته ثم أوقفته فوق قدميه جاذبة سترته المعلقة في المكان المخصص لها وألبسته إيّاها، تأملت هيئته برضا ثم رفعت إصبعها أمام وجهه محذرة مردفة بحنك طفولي: على الله تقلعه وتشمر أكمام القميص، بنظرات عاشقة ثم قبض على إصبعها وقضمه برقة أذابتها ومن ثم تشدق بعبث: امممم طعمه..

قرص وجنتها بقوة واسترسل حديثه بقى انت يا أوزعة يا طفلة تهدديني!!

صاحت به: أنا مش أوزعة ولا طفلة انت اللي طويل بزيادة وعجوز، تابعت حديثها وهي تتحسر أنا عندي ١٧ وشهرين

وقاطعها بعشق عندك ١٧ سنة وشهرين وعشر أيام..

منحته ابتسامة صافية وبدون مقدمات ألقت بنفسها بين أحضانه لف يديه حولها ورفعها عن الأرض كي يستطيع ضمها إليه؛ فهي قصيرة بالجدَّيه بالكاد تصل إلى صدره ظل محتفظًا بها بين أحضانه حتى أبعدت رأسها عن عنقه وقبّلت جانب فكه قبلة طويلة.

لم يمهلها الفرصة بالابتعاد وضم شفتيها بفيه في قبلة عاصفة أذابت كليهما.. استمرت قُبلتهما الأولى لوقت لا يعرفون مداه حتى شعر باختناقها فابتعد عنها مرغمًا..

ابتسم بحنو عندما رأى تورد وجنتيها..

اتسعت ابتسامته أكثر حينما وجدها مغمضة العينين من شدة الخجل..

تنحنح بقوة بعد أن أنزلها لتقف على قدميها وتشدق ممازحًا إياها: افتحي عنيكي يا هنايا ولا انتِ استحليتي الموضوع عمومًا أنا كمان عجبتني البوسة ومعنديش مانع آخد واحدة كمان.

فتحت عينيها بهلع وصاحت به: انت قليل الأدب على فكرة.

غمز لها بعبث: والله انتِ اللي قبلتيني الأول.

أخفضت رأسها أرضًا فشعر بحزنها فدنى منها واعتصرها بين أحضانه مردفًا: اوعي توطي رأسك يا هنا طول مانا عايش أنا ملكك اعملي فيا اللي عيزاه.

ابتسمت من بين أحضانه وضمت نفسها إليه أكثر.

عودة للوقت الحالي

****

تنهد بحرارة لكنه انتفض راكدًا عندما استمع إلى صوت مرتفع في الخارج فأدرك أن الوزير قد حضر، عاد إلى قاعة الحفل فوجد الوزير يدخل من الباب الرئيسي دنى منه بخطوات واثقة، ثم مد يده إليه فوضع الوزير يده في

يد مالك ومن ثم تشـــدق بفخر: ألف مبروك على توكيل الســـيارات يا ســـيد مالك حقيقي انت واللي زيك فخر للبلد دي...

ابتسم بمجاملة: أشكرك يا معالي الوزير.

ترك يده ومن ثم اصطحبه إلى إحدى الطاولات المخصصة له، استاذن منه بلباقة كي يستقبل باقي المدعويين فأومأ له بابتسامة:

أجوب القاعة بحثًا عنها لكنه لم يعثر عليها فأدرك أنها ذهبت ألمه قلبه عليها ولكن ما باليد حيلة.

ألف مبروك يا مالك.

قالتها السيدة هدى خالة مالك وزوجة عمه.

الله يبارك فيكِي يا ماما.

سألته بلباقة: ماشفتش هنا أصلها قالت لي إنها هاتسبقني على هنا.

شعر بوخزة قوية في قلبه عند سماع اسمها لكنه تماسك وتشدق: كانت هنا وأنا طردتها.

فغرت فاهها: ايه طردتها طيب ليه.

أجابها باختصار: ابقي اسأليها بالإذن عشان هروح أقف مع الناس.

تابعته بحزن جلي حتى اندمج وســـط الحضـــور ثم غمغمت بخفوت: ربنا يهديكم وترجعو زي الأول بس لو اعرف إيه اللي حصل دانتو كنتم ولا روميو وچوليت.

قطع حديثها مع نفسها صوتها الناعم: طانت هدى فين هنا أنا قلبت عليها الحفلة ومالقتهاش.

ما كانت هذه سوى مارلين وجدي صديقة هنا المقربة صاحبة العينين الزرقاء والشعر الأحمر المموج والبشرة البيضاء، فتلك الفتاة تملك جمالًا صارخًا.

احتضنتها السيدة هدى وأجابتها بهدوء: والله ما اعرف يا بنتي بس مالك بيقول إنها كانت هنا وطردها.

صاحت باستنكار: إيه طردها!!

ده بني آدم حيوان مش كفاية اللي بيعمله فيها بجد مايستهلش ملاك زي هنا...

قاطعتها السيدة هدى: وطي صوتك يا بنتي واحكي لي إيه سبب المشكلة؟

هزت رأسها بالنفي: sorry يا طنت مش هقدر دي حاجة تخص هنا ولو هي حبة تحكي لك كانت حكت ليكِ

إيه ده مارلين هنا وانا بقول القاعة نورت ليه أتاري الشمس والقمر طلعو مع بعض.

استدارت إليه بابتسامة جميلة: معتز ازيك؟

بادلها الابتسام ومد إليها يده فصافحته بحرارة.

تفحصها بنظرات عاشقة فتوردت وجنتيها خجلًا فسحبت يدها من بين يده.

فتنحنحت السيدة هدى بحرج: طيب انا هروح اشرب حاجة.

"اتفضــلي يا هدهد خدي راحتك" قالها معتز وهو يجذب يد مارلين لمكان بعيد قليلًا عن الناس.

فهدرت به: ايه ده انت ساحبني وراك زي الجاموسة كدة ليه!!

أجابها ببرود: عشان ماتهربيش مني زي كل مرة ثم تابع باستعطاف: أرجوكِ يا مارلين اسمعيني،

تلاحقت أنفاسها فهي تعرف ما يريد قوله لهذا كانت تتهرب منه خلال الأشهر المنصرمة.

دنى من أذنها وهمس بعشق نابع من أعماق قلبه: بحبك يا مارلين.

هدرت به: انت اتجننت يا معتز أنا مسيحية وانت مسلم!!...

قاطعها بعصبية: أنا ديني يسمح لي اننا نتجوز.

وأنا ديني مايســمحليش فمن فضــلك ابعد عن طريقي وانســى كل اللي انت قلته حالًا.

****

الفصل الثاني

لم اكن أعلم أن فراقك هو الموت

صدقيني حبيبتي لو كان الأمر بيدي

لاخترت الموت ألف مرة ولا أدعك تتألمين

****

عـادت إلى القصــر ودموعهـا تـأبى التـوقف اتجهـت إلى غـرفتهـا فتحـت البـاب وولجت بخطوات بطيئة كأيامها بدونه.

وقفت أمام المرآة تتأمل نفسها شعرت بالاشمئزاز من هيئتها المزرية تلك، بدءًا من ثوبهـا الفـاضـح وشـــعرهـا المكشـــوف نـاهيك عن كحلهـا الـذي اختلط بدموعها؛ فأعطاها منظرًا مروعًا تلمست شعرها بشيء من القوة، فضحكت بسخرية وهي تشـعر بالندم الشـديد فقد كانت ترتدي الحجاب، لكن عندما انفصــلـت عنه أقســـمت أن تفعل كل شـــيء كان يمنعها منه، ارتمت على الفراش وهي تجهش في بكاء مرير يمزق نياط القلوب.

ظلت تنتحب حتى شـعرت بالتعب الشـديد نظرت إلى سـقف الغرفة بشـرود وتذكرت اليوم الذي أمرها فيه بارتداء الحجاب في وقت سابق.

كانت تســـتذكر دروســـها بتركيز لكن قاطعها صـــوت قرع الباب، على الفور أدركت أنه هو، فهي كانت تعرف بوجوده قبل أن تراه

تمطت بجســـدها ثم هبت واقفة لتفتح له، تفاجأت به يقف أمامها بقامته المديدة ووســـامته المفرطة مرتديًا كامل ثيابه يبدو أنه على وشـــك الخروج، منحته ابتســـامة جذابة ومن ثم جذبته إلى الداخل، تشـــدقت وهي توصـــد الباب: الباشا متشيك كدة ورايح على فين؟

احتضن كتفها بذراعه: عندي عشاء عمل يا هنا.

مطت شـــفتيها بتفكير ثم ســـألته بغيرة ظهرت جليًّا في حديثها: وهايبقى في العشا ده ستات أجانب مش كدة هيفضلم يتلزقم ويتحشرم بيك مش كدة!!

قهقه بصخب: يتحرشوا بي! تابع الضحك بصت أعلى.

رمشـت عدة مرات كي تهدئ من مشـاعرها الثائرة فشـكله وهو يضحك كان جذابًا بالنسبة له فدارت في رأسها أفكار منحرفة

ماذا سيحدث إذا اقتنصت قبلة صغيرة من شفتيه؟!

لاحظ تحديقها به فغمزها بعبث: أنا عارف إني أمور بس انا كنت عاوز أتكلم معاكي كلمتين مهمين، رمقته باهتمام فجذبها من يدها وجلس على طرف الفراش ثم سحبها لتجلس فوق ساقيه كعادتها.

مرر يده في خصلات شعرها الذي يعشقه ثم دفن وجهه فيه يستنشقه بقوة وهو يتمتم بتملك: شعرك ده ملكي يا هنا مش عاوز حد يشوفه غيري.

رفعت بنيتها إليه: طيب مانا بلمه وانا خارجة زي ما طلبت مني يا مالك.

مرر إصبعه على وجنتها برقة أذابتها وقال ببحّته الرجولية التي تعشقها: مش كفاية يا حبيبتي هنا أنا لم بشوف حد بيبصلك بنظرة إعجاب بحس إن قلبي هيقف ده غير الع...

قاطعته وهي تمسك بيده التي كان يمررها على وجهها وتقبّلها: بعد الشر عليك يا قلب هنا إن شاء الله.

ابتلع باقي كلمتها في جوفه كي لا تدعي على نفسها أخذ يعمق قُبلته حتى شعر بأنه سيفقد السيطرة على نفسه، فحرر شفتيها من أسر شفتيه، وقال بصوت لاهث: أنا عايزك تتحجبي يا هنا انت كلك ملكي شعرك عنيكي شفاهك مفهوم!!

هزت رأسها موافقة.

دنى منها مقبلًا طرف أنفها.

يبقى بكرة هخدك ونجيب كل حاجة خاصة بالمحجبات، نهض برفق ووضعها على الفراش دثرها جيدًا ثم عدل لها الوسادة مسترسلًا حديثه: تصبحي على خير يا هنائي.

وانت من أهلي قالتها هنا وبداخلها سعادة لا توصف.

****

عودة للوقت الحالي

استقامت جالسة بعد أن خطرت لها فكرة شيطانية مسحت دموعها بظهر يديها، ومن ثم هبت واقفة فاتحة أحد الأدراج والتقطت منه مقصًا رفعتها أمام وجهها وهي ترمقه بريبة شديدة.

عادت إلى منزلها فوجدت والدتها وأخاها الأكبر مينا جالسين أمام التلفاز، ألقت تحية المساء بهدوء وهي تجلس بجانب أخيها على الأريكة.

سألها وهو يسلط نظره على التلفاز: اتأخرتي كدة ليه يا مارلين؟ كل ده في حفلة صحبتك!!

أجابته وهي تلتقط تفاحة من طبق الفاكهة الموضوع على الطاولة: آه صدقني دانا كمان مشيت قبل متخلص الحفلة.

تشدقت والدتها بجدية: فكرتي في جوازك من جورج ابن الكاهن مرقص.

زفرت بضيق ثم قضمت من التفاحة ومضغتها بهدوء، ثم تشدقت بحسم: مش موافقة يا ماما أنا مش بحبه ولا طيقاه.

صاحت والدتها: يعني ايه الكلام ده يا بت هتحرجي أبوكي مع ابونا.

نفخت أوداجها بضيق: أنا مش موافقة يا ماما وده آخر كلام عندي.

تدخل أخوها في الحديث: سيبيها على راحتها يا ماما مش هنغصب عليها في حاجة وبعدين مارلين بسم الصليب عليها زي القمر هيجي لها حد أحسن.

صاحت باهتياج هو في حد زي جورج أدب وأخلاق ده كفاية إنه تربية ابونا مرقص!!

نهض منهيًا الحديث: هي حرة يا ماما دي حياتها هي اللي هتعيش، تثاءب بقوة ومن ثم أردف وهو يتجه لخارج الغرفة: تصبحوا على خير.

ركدت مارلين خلفه: استنى خدني معاك عشان عاوزه أصحى بدري أروح الكنيسة قبل ما اروح الجامعة.

ضربت أمها فخذها بحسرة وصاحت بإسرار: اهربي يا مارلين زي مانتي عاوزه بس وحياة الرب مش هتتجوزي غير جورج وهنشوف كلمة مين اللي هتمشى يا بنت بطني.

****

يا أهل المنزل أنتم فين!!

قالها معتز الذي عاد من الخارج للتو.

ركدت باتجاهه أخته الصغرى ميار واحتضنته بقوة مردفه: ميزووووو فينك من الصبح دا ماما ومحمد فضلوا مستنينك لحد مازهقوا فماما نامت وحودة راح يكلم الموزة بتاعته..

أمسكها من أذنها بقوة: احترمي نفسك يا بت انتِي إيه موزة دي اسمها حتة!!

قهقهت بصخب على مزحته تلك ثم سألته بخفوت: طيب وأخبار الحتة بتاعتك انت ايه؟

تنهد بحزن ثم أحاط كتفها بيده متجهًا بها لغرفتها روحي نامي دلوقت والصبح هحكي لك.

لا احكيلي دلوقتي مش هقدر أستنى للصبح.

لا أنا تعبان دلوقتي ومش قادر أتكلم قالها وهو يدفعها لداخل غرفتها.

بفضول: طيب هي جت الحفلة؟

أيوة يالا تصبحي على خير قالها وأغلق الباب عليها.

ضـربت الأرض بسـاقها: كدة برضـو يا ميزو أهون عليك تسـيب الفضـول يموتني كدة ماشي أما أقوم أكمل الرواية اللي كنت بقراها لحد لما يجيلي نوم.

****

في قصر النويري وبالتحديد في غرفة مالك..

انتهى من الاستحمام فلف جسده بمنشفة كبيرة ودلف للخارج، فهو يشعر بإرهاق شديد انتقى بنطال قطني أسود وارتداه جزعه الأعلى عاريًا، واستلقى على الفراش ظل يتقلب يمينًا ويسارًا فهو يشعر بالقلق الشديد عليها؛ حتى إنه منع نفسه بصعوبة أن يطمئن عليها عندما عاد من ذلك الحفل زفر بضيق من نفسه، ونهض مُمررًا يده بعصبية في خصلات شعره استقام واقفًا وأخذ قميص بيتي بنصف كم من خزانته دالفًا للخارج قاصدًا غرفتها.

****

بينما هي فقد وقفت تتأمل هيئتها الجديدة برضا وابتسامة نصر تزين شفتيها اتسعت ابتسامتها أكثر عندما استمعت لقرع الباب استدارت وهي تسمح له بالدخول.

أخذ نفسًا عميقًا ومن ثم أدار مقبض الباب ولج للداخل مغلقًا الباب خلفه، كاد أن يتحدث لكن الحروف تجمدت على شفتيه من هول ما رأى، شعر بأن الهواء قد انعدم من حوله دنى منها قابضًا على ذراعيها بكلتا يديه صارخًا بها: انتِي ايه اللي عملتيه ده يا مجنونة ازاي تقصي شعرك بالشكل ده!!

حررت يديها من بين يديه بصعوبة وأجابته ببرود وهي تتحسس شعرها الذي لم يتعدَّ طوله عنقها.

عادي يا ابن عمي قصيته أصلي قرفت منه زي ما بقيت أقرف منك انت كمان ثم استرسلت حديثها بغلّ لم تستطع إخفاءه: ولسه دانا هاعمل كل حاجة كنت محرمها عليا.

انهارت حصونها ولم تستطع الصمود أكثر فأجهشت في بكاء مرير وألقت نفسها بين أحضانه.

أما عنه فقد آلمه قلبه عليها فهو يكاد يجزم أن الألم الذي تشعر به لا يضاهي نصف ما تشعر به، اعتصرها بين أحضانه وكأنه يخبرها معها بأنه بقميصه وتعالت شهقاتها ملمسًا على خصلاتها القصيرة، وهو يتمتم لها بكل عبارات الأسف التي يعرفها ظلت تنتحب حتى شعر بسكونها فأيقن أنها نامت، ابتسم بخفة فهي لم تتغير ضمها إلى صدره بحماية ثم حملها ووضعها في فراشها انحنى طابعًا قبلة طويلة على جبينها، ثم أخذ غطاءً خفيفًا ودثرها جيدًا، وقف يتأملها بعض الوقت ومن ثم دلف للخارج مغلقًا الباب خلفه وهو يلعن والدته وعمه، فلولا تلك الحقيقة المرة لكانا يعيشان في سعادة الآن لكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن.

****

مرت الليلة بحلوها ومرها على الجميع

في الصباح

فتحت تلك الجميلة عينيها وسرعان ما تذكرت ما حدث أمس انسابت دمعة يتيمة على وجنتها فمسحتها بسرعة، استقامت واقفة متجهة إلى المرحاض لتنعم بحمام دافئ كي تسترخي قليلًا، بعد نصف ساعة وقفت أمام المرآة تمشط خصلاته القصيرة التي زادتها أنوثة وجمال التقطت زجاجة العطر ونثرت الكثير على ثيابها وعنقها، تأملت هيئتها بإعجاب والتقطت معطفها الأبيض فهي اصبحت في السنة الثانية من كلية الطب، واتجهت إلى الأسفل ألقت تحية الصباح على والدتها التي كانت منغمسة في قراءة الجريدة شهقت بقوة عندما أبصرتها صائحة: ايه اللي عملتيه في شعرك ده يا هنا؟

أجابتها ببرود: إيه يا مامي عملت نيولوك فيها إيه دي!!

صرخت باهتياج: بلاش كلام فارغ ازاي تقصي شعرك بالشكل ده!!

قطع صراخها صوتها الناعم: صباح الخير يا جماعة.

ما كان هذا سوى صوت نسرين صديقة مالك التي أصبحت تلتصق به كالعلكة في الآونة الأخيرة.

ردت السيدة هدى تحية الصباح.

بينما هنا حدّجتها بنظرات ساخطة؛ تأملت مظهرها باحتكار؛ بدءًا من شعرها الأشقر القصير وعينيها التي تُغيِّر لونها حسب ما ترتدي بواسطة العدسات اللاصقة، وفستانها الذي يكشف أكثر مما يستر!

ولم تعقب، استمعوا جميعهن لصوته الجاد: صباح الخير.

ردت السـيدة هدى التحية، وكذلك نسـرين التي ركضـت تحتضـنه وتُقبّل إحدى وجنتيه تحت نظرات هنا الحارقة، شـعرت بالدم يفور في رأسـها، وأفكار سوداوية تدور في رأسها "ماذا لو انقضت عليها تمزق وجهها البغيض بأسنانها أو تقتلع شعرها من جذوره".

قطع أفكارها صوته المازح: إيه يا جماعة هنفضل واقفين كدة، مش هنفطر ولا إيه؟!

ردت السـيدة هدى وهي تسـتقيم واقفة: يلا الفطار جاهز، إحنا كنا مستنينك.

بعد عدة دقائق، كانوا يلتفون حول طاولة الإفطار التي ترأّسـها مالك، وعلى يمينه خالته، ونسـرين على يسـاره، بينما هنا جلسـت بجانب والدتها وهي تتمزق من الغيرة، ظلت تتلاعب بطعامها.

أما عنه فكان يتابع كل حركة تصدر منها، يشعر بالشفقة عليها لكن ما باليد حيلة، خطرت بباله فكرة سـتجعلها تبتعد عنه للأبد، أخذ كوب الماء الذي أمامه وارتشفه دفعة واحدة، ثم تشدق بجدية وهو يمسك يد نسرين: مش تباركولنا؛ أنا ونسرين هنتجوز آخر الشهر.

الفصل الثالث

أتعلمون ما هو الأصعب من الفراق؟

الخذلان..

الخذلان من أكثر شخص يعني لك في حياتك..

شخص كان بمثابة الهواء والماء..

وفجأةً يطعنك بكل قسوة في منتصف قلبك بدون شفقة!

****

نزلت كلماته عليها كالصــاعقة، ماذا! هل قال ســيتزوج، ســيكون لغيري، ســيُدللها ويهتم بها كما كان يفعل معي؟! لم يتحمل قلبها الصــغير كل هذا وانخرطت في بكاء مرير يمزق نياط القلوب.

صُــدم من رد فعلها؛ لم يتوقع أبدًا أن تنهار هكذا أمامهم، لم يشـعر بنفســه إلا وهو ينهض من مكانه جاذبًا إياها يعتصــرها بين ذراعيه، يتمتم لها بكل كلمة يعرفها عن الاعتذار.

حاولت دفعه أكثر من مرة، لكنه لم يتزحزح وكأنه كان يحتاج ذلك الحضــن أكثر منها!

نهضت السيدة هدى بغضب جامح وجذبت ابنتها من بين أحضانه صارخة به: إنت إيه يا أخي، حرام عليك، بنتي كانت زي الوردة المفتحة، بسببك دبلت وكبرت يجي عشــرين ســنة، ليه كده يا مالك؟! مش دي هنا بنت قلبك، مش

دي بنتك اللي وقفت لأبوك وعمك وقلت مش هتكون لحد غيري، إيه اللي حصل بينكم قولولي وريحوني؟!

تعالت شهقات هنا وركضت لأعلى.

بينما مالك التزم الصمت ونظر أرضًا.

كم كان يتوق للتحدث مع خالته لتحمل معه ذلك الحِمل الثقيل، لكن الوعد الذي قطعه لأبيه منعه.

دنا منها وقبَّل رأسها مردفًا بصوت يغلفه الحزن: سامحيني يا خالتي، وقولي لهنا تسامحني وتنساني؛ أنا هتجوز نسرين عشان أنا وهنا استحالة نكون لبعض!

ألقى كلماته دفعة واحدة ودلف للخارج بخطا واسعة.

ابتسمت نسرين بنصر وركضت خلفه لتلحقه.

شعرت السيدة هدى بالحقد على مالك؛ فهي تعلم مدى عشق ابنتها له وتعلقها به، فكرة زواجه بأخرى ستقتلها بالبطيء، كزت على أسنانها بغيظ، ثم صعدت لأعلى تطمئن على فلذة كبدها، وبداخلها غضب كبير والكثير من الأسئلة تدور في رأسها.

****

في نفس التوقيت..

وصلت مارلين أمام الكنيسة ولجت بهدوء وهي ترسم الصليب على صدرها ثم انحنت تتلمس الأرض بيدها لتأخذ بركة هذا المكان المقدس، استقامت

واقفة واتجهت ببطء لتقف أمام صــورة الســيدة العذراء، أوقدت إحدى الشموع، وراحت تشكر الله على نعمه، وتدعوه ليريح قلبها ويحفظ أهلها.

وبعد أن أنهت صــلاتها رســمت الصــليب مرة أخرى، ومن ثم دلفت خارج الكنيســة بظهرها؛ فلا يجوز أن تخرج بوجهها وتعطي هذا المكان المقدس ظهرها.

خرجت وهي تشعر براحة بعد أن أعطت الله حقه، استقلت سيارة أجرة كي تقلها إلى الجامعة، لكنها تذكرت أنها لم تهاتف هنا منذ أمس، فأخرجت هاتفها ثم بحثت عن رقم صديقتها وضغطت زر الاتصال، وبعد وقت قليل وصلها صوتها الباكي: أيوة يا مارلين.

شعرت بالقلق عليها فصرخت بقوة أجفلت السائق:

مالك يا هنا بتعيطي ليه؟!

أجابتها بشــهقات متقطعة: هيتجوز ويســيبني يا مارلين خلاص، مالك مش هيبقى لهنا.

شـعرت بالحقد تجاه هذا المالك فتحدثت بغضـب مكتوم: أنا هسـبقك على الكلية يا هنا، خدي تاكسي وتعالي، متجيش بعربيتك، ماشي.

أغلقت بعد أن اســتمعت لموافقتها وهي تســب وتلعن في مالك والحب وكل شيء!

****

في فيلا النويري..

هبطت السيدة هدى وهي تشعر بالحزن الشديد على ابنتها الوحيدة؛ فهي لم تكف عن البكاء منذ أن ألقى مالك قنبلته الموقوتة في وجهها وغادر، حقًّا هي تعبت كثيرًا، فهي تتساءل منذ عامين عن سبب هذا البعد والجفاء ولم تحصل على إجابة؛ فابنتها تبكي ومالك يتهرب ويقول لا أستطيع إخبارك، جلست على أول أريكة قابلتها، وعقلها سينفجر من كثرة التفكير.

تفاجأت بهنا تهبط الدرج بخطوات بطيئة خالية من الحياة، ووجه شديد الاحمرار، وعينين منتفختين من كثرة البكاء، سألتها باهتمام: رايحة على فين كده يا هنا؟

أجابتها باختصار: الجامعة.

تحدثت وهي تستقيم واقفة وتتجه إليها تربت على شعرها القصير بحنان: خدي بالك على نفسك يا قلب مامي، وبلاش تسوقي، خدي تاكسي.

أومأت برأسها ودلفت للخارج تحت نظرات والدتها المشفقة والحزينة.

****

في شركة النويري..

يجلس في مكتبه الفخم يراجع بعض الملفات بعقل شارد وقلب حزين.

- لوووووكة خلصت مراجعة الورق؟

ما كان هذا إلا معتز الذي ولج للتو بدون استئذان كعادته.

قذفه بأحد الأقلام المتواجدة على المكتب، وأردف بعصـــبية مفرطة: إيه يا معتز الهمجية دي يا أخي، مش في أم باب تتزفت تخبط عليه؟!

رمقه معتز بتفحص فاســتشـف أنه غاضــب من شـيء ما؛ فجلس على أحد المقاعد المقابلة وسأله بهدوء: فيه إيه يا مالك، وليه كل العصبية دي؟!

تنهد بقوة وراح يقص عليه كل ما حدث على طاولة الإفطار.

صـمت معتز لوهلة، فاسـترسـل مالك حديثه: مكنش قدامي حل تاني غير ده عشـــان تنســـاني، وتبدأ حياة جديدة من غيري، وأنا كمان أحاول أنســـاها وأشيلها من دماغي.

تحشرج صوته بغصة مؤلمة وأردف: عارف يا معتز، أنا بحلم بيها كل يوم، وكل ماشوفها ببقى عايز أخدها وأهرب وا...

قاطعه معتز بحدة: انت اتجننت يا مالك فوق لنفســـك هنا بقت محرمة عليك خلاص!

صرخ هو الآخر: عارف، بس مش قادر يا أخي مش قادر.

انهمرت دمعة من عينيه تلتها أخرى وأخرى.

فشـــعر صـــديقه بالشـــفقة عليه؛ فما كان منه إلا أنه اتجه إليه جاذبًا إياه يعانقه بمواســاة، وكان هذا الحضــن ضــوءًا أخضــر لمالك، فانخرط في بكاء مرير يتمتم بكلمات متقطعة: هنا بتموت يا معتز يا ريتني ما حبيتها ولا علقتها بيا.

تركه يُخرج كل ما يختلج في صدره عله يستريح قليلًا.

في كافيتريا الجامعة..

انتهت هنا من قص ما حدث لمارلين، أجهشــت في بكاء مرير، لم تجد ســبيلًا للتخفيف عنها ســوى احتضــانها، لم تهدأ هنا؛ بل تمســكت بثيابها وتعالت شــهقاتها، بكت كما لم تبكِ من قبل، بكت أحلامها معه، وعشــقها الذي لم يُكتَب له الحياة، فقد مات قبل أن يرى النور، ظلت تنتفض، فتركتها تبكي عسى بكاؤها يشفي جرح قلبها المريض بحب شخص أناني لا يستحقها!

بعد وقت كبير هدأت شــهقات هنا، فأبعدتها مارلين عن حضــنها وأردفت بجدية: بصــي بقى يا هنا، من انهرده مفيش مالك، في هنا وبس، وزي ماهو هيبدأ حياة جديدة إنتي كمان تبدئي حياة جديدة من غير مالك، وهتفتحي قلبك وتدي فرصة لنفسك تتعرفي على ناس جديدة، تكوّني شخصية ليكي بدال اللي كان لاغيهالك مالك، مفهوم يا هنا؟

ثم وكزتها بخفة واســترســلت حديثها بمرح: بس إيه القمر ده، القصــة دي تحفة عليكي مخلياكي أنثى كده، بس إنتي كنتي بتحبي شــعرك أوي يا هنا، ده أنا ياما اتحايلت عليكي تقصيه وكنتي بترفضي، إيه اللي جد؟

أجابتها بصوت مبحوح من كثرة البكاء: قصيته عشان أقهر مالك؛ أنا عارفة هو بيحب شعري أد إيه.

ابتسمت مارلين بمكر وأردفت باستفزاز: وأنا اللي كنت مفكراكي أخيرًا أخدتي قرار من نفســك، أتاريكي عملتي كده عشــان تغيظي مالك، الله يخرب بيت مالك واللي جابو مالك، ربنا ياخده عشان ترتاحي.

شهقت بقوة وتمتمت بسرعة: بعيد الشر عنه يا مارلين، اخص عليكي، اوعي تدعي عليه تاني.

فاض بها الكيل من سـذاجتها تلك، فصـاحت بها بحدة جعلت معظم الجالسـين في المكان يلتفتون إليها: يختاي، هموت بسـبب غبائك هتجيبيلي الضغط والسكر يا هنا.

ابتسـمت رغمًا عنها وربتت على يدها الموضـوعة فوق الطاولة ثم أردفت بهدوء: الله يخرب بيتك وطي صوتك، فرجتي علينا الناس.

بادلتها الابتسـامة: أيوه كده يا هنون، اضحكي خلي الشـمس تطلع بلا مالك بلا بتاع.

صمتت هنا قليلًا ثم تحدثت بجدية: تفتكري يا مارلين مالك بعد عني عشـان اللي حصل بنا في الليلة إياها؟

لم تعرف بماذا تجيبها، فقلبها وعقلها يخبرانها بأن هناك سـببًا خطيرًا هو ما جعل مالك يتخلى عن هنا، هي أكثر شـخص يعرف مدى عشـقه لهنا، لكن عليها أن تجد سـببًا يريح قلب صـديقتها، فأجابتها بحزم: أكيد يا هنا، لإن كل الرجالة الشـرقيين عندهم الفكر ده، وأكيد مالك بيفكر زيهم إلا لو مالك بقا...

سألتها بتوجس: ماله؟!

أجابتها وهي تنهض لتستعد للركض: مش راجل.

ألقت جملتها وفرت من أمامها قبل أن تفتك بها هنا التي ضحكت بقوة عليها، لكن سرعان ما تبدلت الضحكة للوجوم.

****

في المساء..

عاد معتز وعقله شارد في مشكلة صديقه، أرخى رابطة عنقه ثم صعد أول درجتين، أوقفه صوت والدته السيدة سميرة الحنون: إنت جيت يا ميزو.

جاء ليتحدث، لكن سبقه أخوه الأصغر محمود هاتفًا بمزاح: لا يا حجة لسة مجاش، ده عفريته ده اللي واقف قدامك، ارحمونا بقى من أسئلة المصريين اللي ملهاش أي تلاتين لزمة دي.

قاطعته بحدة: هي مين دي اللي ملهاش تلاتين لزمة يا ابن الجزمة، وديني لأربيك يا محمود.

ثواني وانحنت تخلع ما ترتديه في قدمها ثم قذفته به، لكن محمود تفاداه بمهارة صائحًا بمرح: مجتش فيا، لا يا حجة مستواكي بقى سيئ في الرماية.

ضحك معتز بصخب، بينما والدته كظمت غيظها بصعوبة وادعت الغضب، فدنا منها محمود كي يراضيها، لكن سرعان ما صرخ عندما اصطدم بكتفه خف والدته الآخر، وقد ادعت إنها تُزيل شيئًا من على الأرض وخلعته ثم قذفته به في أقل من الثانية.

تعالت ضحكات معتز الذي صفق بحماس: جون، والله برافو عليكي يا سمورة.

شــاركته الضـحك وأردفت بفخر: أومال إيه يا حبيبي، هخلي كلب البحر ده يشمت فيا.

تحدث وهو يدلك كتفه: ماشي يا سمارة، مردودالك بردو.

اتجه معتز ليجلس بجوار والدته فوق الأريكة ســائلًا باســتغراب: أومال فين البت ميار، مش باينة يعني؟!

أجابته والـدته وهي تنهض: راحـت عنـد خـالتـك تـذاكـر مع البت حيـاة، إنت عـارف امتحـان آخر الســنة قرب، على الله تنجح وتدخل كلية الهندســة زيك، ثم استرسلت حديثها وهي تشير على محمود: أو تدخل صيدلة شبه الموكوس ده، وتساعده في شغل الصيدلية، بدال البنات الملزقة اللي واقفين فيها، قوم غير هدومك على محضرلك العشا، وإنت يا زفت ورايا على المطبخ.

نهض معتز متجهًا إلى غرفته.

بينمـا محمود اتبع والـدتـه وهو يتمتم بكلمـات غـاضــبـة: هو أنـا ابن البطة السودة ولا إيه، وربنا دي لو لقياني على باب ملجأ ماكانتش هتعاملني كده.

ما تخلص يا زفت، كل ده بتيجي.

ركض باتجاه المطبخ صائحًا: أيوه جاي.

****

كانت تذاكر دروســها بتركيز، لكن ســرعان ما قفزت صــورته أمامها، عيناه الســوداء وأهدابه الكثيفة، أنفه المسـتقيم، وشـفتاه الغليظتان، ناهيك عن لحيته الخفيفة التي زادته وقارًا، تمتمت اســمه ببطء كأنها تتذوق حروفه

"معتز" تذكرت مغازلته لها يوم الحفل واعترافه بحبها، لاحت على شـــفتيها ابتســـامة صــغيرة تنهدت بقوة: يا رب يا يســـوع ســـاعدني، أنا عـارفة إنه مينفعش، بس غصب عني أنا فعلًا بحبه.

****

في قصر النويري وبالتحديد في جناح مالك.

دلف من المرحاض وهو يرتدي بنطالًا قصــيرًا تاركًا جزءه العلوي عاريًا، ألقى بنفســـه فوق الفراش، وأغمض عينيـه، فمر بخـاطره ذكرى ذلـك اليوم المشؤوم.

عودة لوقت سابق...

****

وقف أمام غرفتها يود رؤيتها قبل أن ينام، كعادته ســحب نفسًـــا عميقًا، ثم طرق على البـاب، ولج فوجدهـا جـالســـة فوق الفراش، ترتدي منامة وردية قصيرة بالكاد تغطي خصرها وشعرها الأسود الحريري منتشر حولها بجنون كأنه شـــال يغطيها، أقســـم بداخله أنها ليســـت بشـــرًا، بل حورية هبطت من الجنة، كيف لها أن تكون فاتنة لهذا الحد وهي في الثامنة عشرة فقط!

ابتلع لعابه بصــعوبة بالغة، ثم تنحنح ليجلي صـــوته مردفًا بصـــوت تملؤه الرغبة: إنتي إيه اللي لبساه ده يا هنا؟!

انتبهت لوجوده، فهي لم تشعر بولوجه الغرفة؛ فقد كانت شـاردة به، قفزت من مكانها ثم تعلقت في عنقه ولفت ساقيها حول خصره.

شـــعر بحرارة تغزو جســـده من قربها المهلك هذا، حاول إبعادها برفق، لكنها تشـــبثت به أكثر فطوَّق خصـــرها بيديه وضـــم شـــفتيها بين شـــفتيه يُقبلها بجنون، تســـارعت أنفاســـه واشـــتعل جســـده عندما وجدها تبادله القبلة، فتعمق في قبلته حتى فقد السيطرة على مشاعره وجسده.

وبعد وقت ليس بالقليل، قفز من فوق الفراش كمن لدغته حية وهو يتمتم بجنون: مستحيل مستحيل، وجَّه بصره إليها وجدها تداري جسدها العاري بيديها، جذب غطاء الفراش ولفه حول جســـدها، وما زال غير مصـــدق ما حدث!

أما عنها فهي كانت تشـــعر بالســـعادة بين يديه، لم تندم على أنها منحته جسدها، بل كانت تريد أن تفعل ذلك معه وهي زوجته، انسابت العبرات من مقلتيها ثم تحولت إلى شهقات عالية ضمها إلى صدره، وراح يهدهدها بكلمات مطمئنة يعدها بالزواج غدًا في يوم ميلادها الثامن عشـــر، لكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن.

****

عودة للوقت الحالي..

قفز من فراشـــه وراح يكســـر كل ما تطوله يديه ويصـــرخ: أنا حقير، أنا زبالة.

انهمرت دموعه، ثم وضع يده على قلبه، وقال بضعف شديد: يا رب سامحني.

وسقط فاقدًا للوعي.

الفصل الرابع

الحب..

ليست مجرد كلمة تقال في لحظة رومانسية..

ولا مجرد شعور مختزن لنملأ به فراغنا..

بل هو شيء مقدس يأتينا من دون سابق إنذار..

يجتاحنا رغمًا عنا، يملأ روحنا بالأمان والطمأنينة..

فالحبيب ليس من يقول أحب، بل من يبرهن لك كيف يحب.

****

جالســـة في غرفتها منذ عودتها من الجامعة، تذاكر محاضــراتها لكن بذهن شـــارد؛ فعقلها اللعين لا ينفك عن التفكير به، وقلبها العاشـــق ينبض لأجله هو فقط.

ألقت دفترها بعصـــبية فوق الكومود، ثم اســـتلقت على ظهرها؛ علها ترتاح قليلًا، لكن سـرعان ما هبت واقفة عندما اسـتمعت إلى صـوت تحطيم زجاج يليه صراخ عنيف، تسارعت دقات قلبها خوفًا عليه، فهرولت إلى جناحه وهي تدعو الله بداخلها أن يكون بخير.

فتحت الباب فوجدته يفترش الأرض، دنت منه وجلسـت على عقبيها بجانبه، صـــرخت بقوة عندما أبصـــرته مغمض العينين، ضـــربت وجنته بخفة وهي تصيح به: مالك، قوم يا قلبي، قوم يا حبيبي، حصلك إيه؟

ركضت باتجاه التسريحة والتقطت إحدى زجاجات عطره، ومن ثم عادت نثرت الكثير منها على يدها وقربتها من أنفه لكنه لم يستجب؛ صرخت بجنون: ماما الحقيني، مالك بيموت!

جلست أرضًا وحملت رأسه ووضعتها على فخذها، ودموعها تنهمر كالشلال فوق وجنتيها:

إيه ده يا هنا، مالك ماله، وبتصرخي كده ليه؟!

تلك الكلمات قالتها السيدة هدى التي ولجت للتو بعد أن استمعت لصراخ ابنتها، فهي قد كانت تقرأ وردها اليومي من القرآن، لم تجبها هنا التي تعالت شهقاتها.

هرولت السيدة هدى والتقطت هاتف مالك ثم عبثت به حتى وجدت الاسم الذي تبحث عنه، ضغطت زر الاتصال وانتظرت الرد، وصلها صوته الناعس: عايز إيه يا زفت بتصحيني من...

قاطعته بصراخ: الحقنا يا معتز، مالك واقع على الأرض مغمي عليه، مش عارفين حصله إيه!

انتفض من فراشه وارتدى ملابسه على عجالة، أخذ مفاتيحه وهاتفه دالفًا للخارج وهو يبحث عن رقم الطبيب الذي يتعامل معه مالك وعائلته.

****

بعد وقت ليس بالقصير عاشه كلٌّ من هنا ووالدتها وأيضًا معتز على أعصابهم.

دلف الطبيب ممدوح صديق العائلة الذي يبلغ من العمر خمسًا وخمسين عامًا، ترتسم ملامح الضيق فوق قسمات وجهه، عندما أبصرته هنا هرولت باتجاهه، ثم تحدثت برجاء وهي تتمسك بيده: أرجوك يا أونكل ممدوح طمني على مالك، أرجوك.

قاطعها صوت معتز الجاد: اهدي يا هنا، خلي الدكتور يتكلم.

دنت منها والدتها وضمتها إلى صدرها علها تهدأ؛ فهي تعلم وتتفهم ما يدور بداخل صغيرتها.

تأملها الطبيب ممدوح بعشق شديد ثم تنحنح مردفًا بخشونة: الظاهر إن مالك اتعرض لضغط نفسي كبير أدى إلى انهيار عصبي، أنا اديته إبرة مهدئة، وهو نايم دلوقتي، ياريت يرتاح الفترة اللي جاية وميتعرضش لأي ضغط نفسي.

استرسل حديثه وهو يمد ورقة لمعتز: هاتوله العلاج ده، ويا ريت ياخدوه في ميعاده، وأنا هبقى أجي أبص عليه.

شكره معتز بعد أن أخذ منه الورقة، ومن ثم اصطحبه للخارج وهو يستفسر عن حالة صديقه، عاد مرة أخرى للداخل، لكنه لم يجد هنا ووالدتها، فأيقن أنهما في غرفة مالك.

فتح الباب ثم ولج فوجد هنا تدثره جيدًا، بينما السيدة هدى كانت تقبِّل جبينه بحنو شديد.

تنحنح بقوة كي تنتبه إليه ثم أردف: يلا اتفضلوا من غير مطرود، عشان أنا جعان نوم...

قاطعته هنا بإصرار: أنا اللي هنام معاه.

زفر معتز بقوة ثم أردف: مينفعش يا هنا، أنا اللي لازم أنام معاه عشان لو احتاج حاجة.

فتحت فمها لتعترض لكن أوقفها صوت والدتها الجاد: معتز عنده حق يا هنا، يلا عشان نسيبهم يرتاحوا، والصبح من بدري هنيجي نطمن عليه.

انصاعت لكلام والدتها ودلفت للخارج وهي تلعن بداخلها معتز وعائلته.

اتبعتها السيدة هدى التي أغلقت الباب خلفها بهدوء.

استدار معتز للطرف الآخر من الفراش واستلقى عليه، لكن سرعان ما غط في نوم عميق على أمل بغد أفضل على الجميع.

****

في نفس التوقيت..

جلست ميار وابنة خالتها حياة في القطار المتجه إلى القاهرة..

ارتسمت ابتسامة سعيدة على وجه ميار التي تحدثت بسعادة: وأخيرًا هشوفه من قريب يا حياة، أنا مش مصدقة نفسي، حاسة إن قلبي هيقف من كتر السعادة اللي أنا فيها! عارفة أنا أول ما أشوفه هقوله إني قريت كل رواياته، وإني معجبة بيه أوي، وكمان هسأله عن سبب النهايات الحزينة اللي في رواياته.

صمتت فجأةً عندما وجدت حياة صامتة، فصاحت بها: إنتي يا زفتة، ساكتة ليه؟! بقالي ساعة بكلم نفسي.

أجابتها بخوف: أصلي بصراحة يا ميار خايفة ماما وخالتي يعرفوا إننا كذبنا عليهم وسافرنا القاهرة بدل ما نروح المدرسة والدروس.

زفرت ميار بضيق مردفة بهدوء: هيعرفوا منين بس يا حياة، متخافيش إحنا هنروح المعرض نجيب الرواية وعليها إمضة أمجد سامي، ونرجع على طول.

ازدردت ريقها بهدوء وتابعت بمكر: عارفة يا بت يا يو، لو ساعدتيني أوصل لأمجد سامي، أوعدك إني أساعدك تقربي من أبيه معتز ونطفش البت مارلين دي اللي حلقاله طول الوقت.

ابتسمت حياة باتساع وصاحت بحماس: موافقة جدًا يا ميار.

عانقتها ميار بسعادة وبداخلها أحلام كثيرة تريد تحقيقها مع ذلك الروائي الشهير الذي احتل قلبها منذ ثلاثة أعوام.

****

عودة إلى قصر النويري..

بالتحديد على مائدة الإفطار، ترأَّس مالك الطاولة كالعادة، معتز على يمينه، وخالته على يساره، تجاورها هنا، التي كانت تسترق النظرات لمالك.

كان الصمت سيد الموقف حتى قطعه معتز: إحنا هنروح المزرعة أسبوع عشان مالك محتاج إنه يرتاح ويغير جو.

صاحت هنا بحماس: بجد فكرة تجنن يا معتز.

فهي تعشق تلك المزرعة التي شهدت على قصة حبهما.

أيدت السـيدة هدى كلام ابنتها: فعلًا فكرة حلوة، إحنا كلنا محتاجين نغير جو ونشم هوا نضيف.

هبت هنا واقفة: أنا هطلع أحضر شنطتي، وهكلم مارلين عشان تيجي معانا.

تسارعت دقات قلبه عند سماع اسمها فتنهد بصوت مسموع.

تجمدت في مكانها على أول الدرج عندما اسـتمعت لصـوت مالك المتعب يقول: أنا عزمت نسرين وعيلتها عشان يجوا معانا يا خالتو، عشان تتعرفوا على بعض.

اومأت السيدة هدى موافقة.

بينما هنا انسابت عبراتها في صمت وصعدت لغرفتها، وهي تتساءل بداخلها "إلى متى سيستمر هذا العذاب"؟

****

بعد سويعات قليلة..

وصلت ميار وحياة إلى قاهرة المعز، استقلتا سيارة أجرة لتقلهما إلى المكان الذي يقام به معرض الكتاب، ذلك الحدث السنوي الشهير، ففي هذا المعرض يتم توقيع الروايات التي اختيرت من دور النشر لبيعها وإمضائها من الكاتب نفسه.

بعد ثلاثين دقيقة، توقفت السـيارة أمام المكان المنشـود، ترجلت ميار أولًا تلتها حياة التي كانت تشعر بالرهبة؛ فهي تخشى الأماكن المزدحمة، لاحظت

ميار خوفها، فهي تحفظها عن ظهر قلب، فجذبتها من يدها وولجت بها إحدى القاعات المفترض إنه يوجد بها، فهي قد قرأت عنها في مواقع التواصل الاجتماعي.

ابتسمت بسخرية عندما وجدت القاعة مكتظة بالناس، والفتايات لهم الحظ الأكبر كالعادة، ولجت بين الحشود ولم تفلت يد ابنة خالتها، حاولت الوصول إليه لكن دون جدوى.

شعرت بالحزن الشديد فعادت أدراجها للخارج وهي تكاد تبكي.

ربتت حياة على كتفها بمواساة مردفة بصوت مرتفع كي تسمعها: خلاص بقى يا ميار، ملناش نصيب نقابله، تعالي نرجع إسكندرية، وابقي اشتري الرواية الجديدة من أي مكتبة.

كلا لم تكن ميار ألا تحارب من أجل ما تسعى إليه.

رمقتها بنظرات نارية جعلتها تصمت، ومن ثم راحت تفكر، قفزت بحماس وهي تصيح: لقيتها يا حياة.

اتسعت ابتسامتها وجذبت يدها، ودلفتا للخارج وسط تعجب حياة التي سارت خلفها دون أن تتفوه ببنت شفة، وقفت أمام حارس الأمن بثبات ثم تحدثت بثبات: لو سمحت يا عمو، افتحلنا عربية أبيه أمجد عشان إحنا تعبنا من الزحمة اللي جوه.

رمقها الرجل بتفحص ثم نقل بصره لحياة التي تنظر أرضًا؛ فاستشف بطيبته أنها مرهقة.

فسألها بلكنة جادة: وانتوا بقى تقربوا للأستاذ أمجد؟

أجابته ميار بسـرعة وهي تشـير على نفسـها: أنا بنت خالته، ومن ثم أشـارت على حياة التي كانت ترمقها بدهشة، وتابعت: ودي تبقى أخت الأستاذ أمجد، وعندها فوبيا من الزحمة.

اســترســلت حديثها بنبرة أعلى: اخلص، افتح العربية، ولا أدخل أناديه هو يفتحهلنا.

تحرك الرجل باتجاه المرآب تتبعه كلٌّ من ميار التي كانت تبتســم بانتصــار، وحياة التي تشعر بالرعب من تصرفات ابنة خالتها المجنونة.

توقف الرجل أمام ســيارة فخمة ومن ثم ضــغط على زر المفتاح لتنفتح الســيارة أوتوماتيكيًا، ثم اســتدار إليهما مردفًا بهدوء: اتفضــلوا اركبوا يا هوانم.

ركبت ميار في الكرسي الأمامي، بينما حياة استقلت الكرسي الخلفي.

أردف الرجل: محتاجين حاجة تانية؟

هزت ميار رأسها بالنفي، فأغلق عليهما السيارة ودلف للخارج.

تنهدت ميار بارتياح، بينما حياة صــاحت بها بحنق: إنتي اتجننتي يا ميار، إيه اللي عملتيه ده، هنقول للراجل إيه لما يلاقينا في عربيته؟!

أجابتها بهيام: بس هو يجي يا حياة واشوفه عن قرب، وبعدها يحلها ربنا.

رمقتها بغيظ شـديد وأراحت ظهرها على الكرسـي وسـرعان ما غطت في ثبات عميق.

ارتسمت على شفتيها ابتسامة واسعة وراحت تتخيل كيف سيكون لقاؤهما الأول حتى غلبها النوم.

****

دلف للخارج بعد عدة ساعات وهو يشعر بالإرهاق والفخر من ذاته؛ فروايته الجديدة حققت أعلى نسبة مبيعات في يومها الأول، أوقفه صوت صديقه المقرب: ألف مبروك يا أمجد، بجد أنا فخور إن أنا صاحبك.

ابتسم بخفة ثم تحدث بغرور مصطنع: طبعًا يا ابني، لازم تكون فخور، هو إنت مصاحب أي حد، ده أنا أمجد سامي، أشهر وأصغر وأوسم روائي في العالم العربي.

ضرب كتفه بخفة وأردف وهو يدفعه: طيب يلا ياخويا عايزين نروّح قبل العشا؛ عشان أمك هرياني اتصالات.

وكزه بقوة ألمته: إيه أمك دي يا حيوان، ما تحترم نفسك.

- يوه، هي مش أمك برضو يا أخي، خلاص متزعلش، الست الوالدة.

قالها زياد المتذمر من صديقه.

أخذ المفتاح من الحارس الذي تغير فهو لم يكن الرجل الذي وجده في الصباح، لم يهتم وشكره، ثم اتجه إلى المرآب ليستقل سيارته، ضغط الزر قبل أن يصل إليها فانفتحت الأبواب تلقائيًا، وقبل أن يولج وجد فتاة تنام بعمق فصاح بها وهو يهزها بعنف: إنتي يا آنسة.

استيقظت ميار مفزوعة وكذلك حياة.

رفعت ميار يدها لتعدل حجابها فأتاها صوته الغاضب: إنتوا مين، وبتعملوا إيه في عربيتي؟

****

الفصل الخامس

ماذا لو كنت تحلم حلمًا جميلًا ثم تسـتيقظ فتجده يتجسـد أمامك بكل تفاصيله لا، بل أنه أجمل، وأروع من الحلم نفسه، حتمًا ستشعر بالبلاهة نوعًا ما..

أو ربما تشـعر بأنك ما زلت نائمًا وتدعو الله كي تبقى نائمًا كي لا تستيقظ وتترك ذلك النعيم.

****

صاح بغضب جامح: متنطططقييي بتعملوا إيه في عربيتي؟

لم تكترث لصـوته المرتفع ولا لوجهه الغاضـب؛ بل راحت تتأمله بولَه شـديد بدأ من عينيه البندقية التي تغطيها أهداب كثيفة وأنفه المسـتقيم، وشـفتيه المكتنزتين ولحية سوداء تماثل لون شعره.

مياااااار فوقي عجبك المصيبة اللي حطتينا فيها دي!

تلك الكلمات قالتها حياة التي شعرت بالخوف من هجوم ذلك الرجل عليهما.

استفاقت من هيامها به ثم تنحنحت لتجلي صوتها مردفة بنعومة مبالغ فيها:

إهدى بس يا أستاذ أمجد وهفهمك!

صاح بها: تفهميني إيه وزفت إيه!

إهدى شوية يا أمجد خلينا نفهم إيه حكايتهم مش جايز معجبات.

هتف بهذا ذياد الذي شعر بالشفقة عليهما.

زفر بقوة ثم ولج للسيارة ثم أشار له مردفًا بهدوء مصطنع: طيب اتفضل اركب جمب الآنسة ورا خلينا نطلع من الجراش ده وبعدين نتكلم.

****

وفي نفس التوقيت

وصلت سيارة مالك التي كان يقودها معتز إلى المزرعة..

ترجل معتز أولًا، ثم تحدث بهدوء: الحمد لله على السلامة يا جماعة.

رد عليه الجميع في صوت واحد: الله يسلمك يا معتز.

أسبل معتز بعينيه وهو يرمق مارلين بنظرات متفحصة: المزرعة نورت أقسم بالله.

تحدث مالك بسخرية وهو يفتح الباب الخلفي لتترجَّل خالته والفتايات: منورة بيك ياخويا إنجز هات الشنط من شنطة العربية وحصلنا...

قاطعه صوت الحاج عوض الذي أتى للتو:

إزاي بس ده يا سعادة البيه أومال أنا لزمتي إيه إتفضلوا أنتو، وحالًا هحصلكو بالشنط يا ألف مرحب يا ست هدى هانم والله زمان بجالكو مدة مشرفتوناش هنا!

أدينا جينا أهو يا حاج عوض هات الشنط عشان إحنا مرهقين ومعتز هيساعدك يلا يا خالتو، وأنتِي يا هنا خدي مارلين واطلعو على أوضتك.

أومأت هنا! ولم تعقب ثم اصطحبت مارلين وذهبت..

بينما السـيدة هدى تنهدت بقوة ثم تسـاءلت باهتمام: أنتَ مش ملاحظ إن أهل خطيبتك إتاخروا!

أجابها وهو يغلق شـنطة السـيارة: أبوها بيسـوق براحة مش زي الزفت معتز اللي كان طاير بينا وكأننا متاخرين على الديوان مثلًا.

ابتسمت رغمًا عنها ثم ربطت على كتفه بحنو: ربنا يسعدك يا مالك!

رغم أن سـعادتك دي فيها تعاسـة بنتي الوحيدة بس هعمل إيه بس يا ابني مأنتَ ابن الغالية اللي وصـتني عليك قبل متقابل وجه رب كريم، واللي بنتي خدت منها كل صفاتها مش بس شكلها.

يلا أنا هدخل عشان الجو ابتدأ يبرّد.

تـابعهـا بعينيـه حتى اختفت ثم سـمح لعينيـه أن تـذرف الـدموع فهو يـدعي الثبات قدر الإمكان لكنه، أولًا وآخرًا بشر.

من قال إن دموع الرجال ضعف أو قلة حيلة؟!

كلا؛ بل هي منتهى القوة، فالرجل يا سـادة بشـر لديه قلب ومشـاعر يحزن ويتألم ويضعف أحيانًا.

****

ينفع اللي عملته ده يأبو مينا؟!

ترك الجريدة التي كان يطالعها باهتمام ومن ثم، رفع مقلتيه إليها يطالعها باستفهام؟

مطت شفتيها باستياء وهتفت بحدة: إزاي تسمح لمارلين تسافر مع صاحبتها المزرعة لوحدها؟

ابتسم بهدوء ثم أجابها بتعقل: البنت قالتلي إن صاحبتها بتمر بحالة نفسية وحشة يا ماريان مقدرتش أقولها لاء، وأنا عارف أد إيه هي متعلقة بصاحبتها دي وبعدين هما مش مسافرين لوحدهم معاهم عيلة هنا كلهم.

جلست بجواره فوق الأريكة وتحدثت بهدوء مصطنع: طيب مكلمتهاش بخصوص جوازها من ابن الكاهن؟!

زفر بنفاد صبر مجيبًا إياها باختصار: لاء لسه.

فتحت شفتيها لتعترض..

فقاطعها بنظرة صارمة ثم تحدث بجدية: خلاص قفلي على الموضوع ده دلوقتي وأنا هتكلم معاها لما ترجع.

اعمليلي فنجان قهوة عشان رايح الكنيسة أحضر إكليل ابن واحد صاحبي عقبال منفرح بمينا كدة...

قاطعته بسرعة: مارلين الأول يأبو مينا.

زفر بقلة حيلة؛ فيبدو أن زوجته لم تصمت اليوم وستظل تعيد الحديث ذاته دون كلّ أو ملّ.

****

قطعت الغرفة ذهابًا وإيابًا بعصبية مفرطة وهي تتمتم بغضب: شفتي بيتعامل معايا ببرود إزاي؟ دا بيعاملني برسمية ومبيتكلمش معايا غير في

أضيق الحدود وكل ده ليه ها؟ عشان السحلية أم ريش ملون دي وحشة وكل حاجة فيها صناعي وسليكون أخص عليك يا مالك ملقتش غير دي بجد ذوقه بقى وحش أوي!

بسسسسسسسسسسسسس كفاااااايااااا خيلتيني تعالي اتنيلي اقعدي خلينا نشوف هنعمل إيه!

أجابتها وهي تجلس بجوارها فوق الفراش: مفيش حل غير إننا نطفشها ولو مطفشطش نقتلها ولو ممتتش نولع فيها بجاااز!

ضحكت مارلين بصخب؛ فصديقتها أوشكت على الجنون.

أمسكت هنا الوسادة وراحت تضربها بها بغيظ شديد: بتضحكي يا باردة وأنا هطق من الغيظ طيب خدي!

تحدثت من بين ضحكاتها: اهدي اهدي يا هنا أنا مش السحلية أم ريش ملون أنااا مارلين صحبتك.

توقفت هنا عن ضربها عندما استمعت لصوت جلبة بالأسفل، فركضت باتجاه النافذة تتبعها مارلين التي كانت ترتب خصلاتها المبعثرة بيدها.

تلاحقت أنفاس هنا وهي تشاهد مالك يرحب بعائلة غريمتها بحفاوة بدأ من والدها ووالدتها ثم أخيها.

شهقت بقوة عندما أبصرت تلك الحية تتعلق بذراعه بحميمية شديدة وكأنها تعلن للجميع بأنه ملكها وحدهاا.

ربَّتت مارلين على كتفها بمواســاة ثم جذبت يدها للداخل، وفي رأســها فكرة ستثار فيها لصديقتها من ذلك القاسي عديم المشاعر.

****

حل المساء على الجميع

في المزرعة..

التف الجميع حول مائدة الطعام..

تساءل مالك ببرود مصطنع: هي هنا مجتش تتعشا ليه؟

كادت مارلين أن تجيبه لكن حينما فتحت فمها لتتحدث، أبصــرت هنا تولج الغرفة ببطء مثير ترتدي تنورة جلد ســوداء بالكاد تغطي فخذيها، وحذاء أسود ذا كعب مرتفع، وكنزة بيضاء ذات أكمام قصيرة تصل إلى آخر بطنها.

غلى الدم في رأس مالك عندما أبصر هيئتها المثيرة تلك، رمقها بنظرة توعد.

بينما هي بادلت نظراته تلك بنظرات غير مبالية.

وزعت مارلين نظرها بينهما فابتســمت بخبث يبدو أن خطتها نجحت بامتياز.

تحدثت بمكر: بس إيه الجمال ده كله يا هنون بجد النوع ده من اللبس لايق عليكي جدًا استمري بقى!

تحدث رامي شــقيق نســرين وهو يرمق هنا بنظرات متفحصــة: فعلًا شــكله يجنن عليها.

أجفلوا جميعًا عندما ضــرب مالك الطاولة بيده صــائحًا بعنف: هنفضــل طول الليل نتكلم على الزفت اللي لبساه الست هنا!

وجه بصره إليها مردفًا بأمر: اتفضلي اقعدي خلينا نكمل عشانا.

ابتسمت بداخلها وتعمدت تسير بخطوات بطيئة كي تثير غضبه أكثر جلست بجانب صــديقتها وهي ترمقها بامتنان، ثم شــرعت بتناول طعامها وقلبها ينتفض في قفصها الصدري، فيبدو أن مالكها ما زال يغار عليها كما السابق؛ إذًا فهو يحبها نعم يا سادة فالحب أساسه الغيرة؛ فإذا أرادت المرأة أن تعرف مكانتها عند الرجل فعليها اتخاذ هذا السلاح.

****

إحنا متشكرين أوووي يا أستاذ أمجد بجد دا أحلى يوم عشته في حياتي!

اكتفى بابتسامة صغيرة..

بينما تحدث زياد وهو ينظر لحياة: إحنا اللي متشـكرين يا أحلى بنات شـفتهم في حياتي.

خجلت حياة ثم فتحت باب السيارة وهبطت منها..

أما ميار فقد كانت تدقق في كل أنش من ملامح أمجد كي تحفر ملامحه الجميلة في ذاكرتها.

فاقت من تأمله به على صــوت حياة المنزعج: متيلا بقى يا ميار هفضــل مستنياكي كدة كتير؟

ترجلت من السيارة ثم لوَّحت له بيدها وذهبت.

فاســتقل زياد المقعد الأمامي وهو يدندن بســعادة تحت أنظار أمجد المندهشة.

قهقهت بصخب وهي تجلس على الفراش ثم شرعت في خلع حذائها وتحدثت بصوت متقطع من فرط الضحك: والله يا مارلين أنتِي طلعتِي جامدة جدًاااا شفتي نظرات مالك كانت عاملة إزاي؟ ده زعق وخبط على الطربيزة وا...

قاطعتها مارلين بضجر: يا بنتي دي عاشر مرة تحكيلي اللي حصل مأنا كنت متزفتة قاعدة تحت.

استقامت واقفة ثم تابعت حديثها: أنا هسبقك عالجنينة غيري هدومك وحصليني.

اندفعت للخارج دون أن تستمع لردها.

استلقت على ظهرها فور دلوف مارلين للخارج ظلت تنظر للسقف، وعلى وجهها ترتسم ابتسامة فرحة تنهدت بهيام ثم وضعت يدها فوق قلبها.

استقامت واقفة بذعر عندما وجدت الباب ينفتح ويولج هو بطلته الخاطفة للأنفاس رمقته بخوف فشرعت بالصراخ؛ لكنه دنى منها بغتة مكممًا فمها بيده، قبل أن يأتي من في المنزل ولجت منزلهم وهي تدندن بسعادة وحياة خلفها تشعر بالتوتر الشديد، أوقفهما صوته الجاد: ممكن أعرف الهوانم كانوا فين لحد دلوقتي وليه تليفوناتكم مقفولة؟!

فتحت ميار فمها لتتحدث لكنه قاطعها مسترسلًا حديثه بحدة: وعلى الله تكذبوا وإلا هتشوفوا مني وش مش هيعجبكم!

****

الفصل السادس

أحيانًا الكذب يكون طوق نجاة لبعض الأشخاص..
فيتخذونه وسيلة سهلة للخروج من ورطة أو مصيبة ما فيصبح حلًا سهلًا لبعض المشاكل..
لكن عندما تكشف الحقيقة؛ تنعدم الثقة ويزيد الشك فتصبح العلاقات على المحك؛ لأن إذا انعدمت الثقة باتت الحياة مستحيلة.

****

تبادلت النظرات هي وحياة، ثم ازدردت ريقها بتوتر ملحوظ وأجابته بثبات مصطنع: في إيه يا محمود مالك داخل فينا قفش كدة ليه متستهدى بالله كدة وتصلي على النبي كدة وانا هفهمك!

صاح بها بصوت مرتفع هادرًا من بين أسنانه: متخخخخلللصيي يا بت هو أنا هتحايل عليكِي ولا إيه وديني لو متكلمتو لأكون مكسر دماغكم دلوقتي.

انكمشت حياة على نفسها فزعًا من صوته العالي..

بينما ميار ظلت على هدوئها مردفة بحزن: وإحنا في درس الكيمياء واحدة صاحبتنا أوي أغمي عليها فرحنا أنا وحياة معاها المستشفى ده حتى أهلها وصلونا لحد هنا مش كدة يا حياة؟!

أومأت الأخرى مؤكدة على حديثها..

لا حول ولا قوة إلا بالله ربنا يشفيها ويعافيها!

تلك الكلمات قالتها والدتها التي دلفت للتو من غرفتها بعد أن أدت صلاة العشاء.

زفر محمود كي يستعيد هدوءه وأردف مشددًا على كل حرف يتفوه به: ماشي طيب وموبيلاتكم مقفولة ليه؟!

أجابته ميار بسرعة: إحنا بنقفلوه في الدروس ونسينا نفتحو بعد اللي حصل.

أومأ متفهمًا!

فأردفت والدتها بحنان: طيب يا حبايبي ادخلو غيروا هدومكم على محضر لكم العشاء.

لا يا ماما إحنا أكلنا في المستشفى أخو ندا جابلنا ساندوتشات إحنا بس محتاجين نرتاح.

سحبت حياة الصامتة خلفها متجهة إلى غرفتها وهي تتثاءب باصطناع.

تحت أنظار زوجين من العيون المتفحصة.

****

جلست فوق أحد المقاعد الموجودة في الحديقة مغمضة العينين تستنشق الهواء الرطب الممزوج برائحة الزهور، وعلى وجهها ترتسم ابتسامة ساحرة غافلة عن عينين تتابعانها بعشق شديد.

كان في شـرفة غرفته المطلة على الحديقة ينفث إحدى سـجائره؛ فأبصـرها تتجول في الحديقة أطفأ السـجارة في المنفضـة ودلف راكضًـا للخارج، توارى بعيدًا عنها كي يعطيها بعض الحرية ويسمح لعينيه تراقبانها من كثب.

عندما أبصرها تغمض عينيها وتبتسـم بعذوبة ناهيك عن خصلاتها المموجة التي تتطاير بخفة حول وجهها الساحر..

تمتم بانبهار: سـبحان اللي خلقك يا مارلين على الفور رفع هاتفه ثم التقط لها عدة صور وهي على وضعها هذا.

شـعرت بشـيء غريب يحدث حولها ففتحت عينيها رويدًا رويدًا أبصـرته أمامها، يقف بهدوء واضعًا يده في جيب بنطاله والأخرى تعبث بالهاتف.

استقامت واقفة تنوي المغادرة شـهقت بقوة عندما شـعرت بيده تقبض على عضدها، جاذبًا إياها إلى صدره مردفًا بنبرة متعبة يشوبها العشق: لحد إمتى هتفضلي تهربي مني؟!

لحد إمتى هتتجاهلي مشاعري تجاهك؟!

تسـارعت دقات قلبها من قربه المهلك هذا، وأنفاسـه التي تحرق وجهها ناهيك عن صوته الرجولي الممزوج بالحنان.

ثبت عينيه في عينيها مسـترسـلًا حديثه بوجع مجبول بالعتاب: أنتِي عارفه إني بعشـقك من أكتر من سـنة وبجري وراكي زي المراهق من مكان لمكان، ومع ذلك مصِرة تعذبيني ليه بتعملي كدة فيا يا مارلين! ابتلع غصة مريرة في حلقه

وتابع: عارف إن كل حاجة ضد الحب ده بس مش بأيدي إن قلبي اللي اختارك دونًا عن بنات الدنيا كلها...

قاطعت حديثه بكلمة جعلت معتز يتسمر مكانه:

أنا كمان بحبك يا معتز رغم كل العقبات اللي هتواجهنا، حاولت أهرب من الحب ده كتير بس الظاهر إن حبك لعنة بتطاردني في كل مكان!

ألقت كلماتها دفعة واحدة وركضت من أمامه هاربة كعادتها..

أما عنه فقد ظل مكانه محدقًا في أثرها بصدمة من تلك الصهباء مغرمة به. تنهد بارتياح وسعادة الكون بأكمله تغمره ولسان حاله يقسم إنه أسعد شخص في الكون دون منازع.

****

أخذت تتحرك وجها يمينًا ويسارًا وهي تهمهم بكلمات غير مفهومة.

أخرج زفيرًا قويًا كي يهدئ من حدة غضبه ومن ثم، هتف بتحذير أنا هشيل أيدي بس وربنا يا هنا لو صوتك طلع لهكسر دماغك النشفة دي.

أومأت بصعوبة فترك وجهها على الفور.

طالعته برعب وتحدثت بكلمات غير مترابطة: أنا أصلي كنت عايزه أغير طريقتي بس مارلين هي اللي فكرت...

قاطعها بأصبعه السبابة وهو يشير على فمه: هششششش ابلعي ريقك واسمعيني كويس يا هنا ودي آخر مرة هتكلم فيها عن لبسك، لو اتكرر الشو الرخيص اللي عملتيه تحت من شوية هتشوفي مني تصرف ميعجبكيش!

فاض الكيل منه ومن تحكماته ماذا يظن نفســه؟ كي يتحكم بها يريد الزواج بأخرى ومن ثم يتحكم بها، لا لم ولن تصمت بعد الآن، ستكون له بالمرصاد فإذا كان يحبها ويغار عليها لماذا تركها؟

صــرخت بكل القهر الذي عانته خلال العام الماضــي والوجع الذي عاشــته بســبب تركه لها: أنننننت إيييييه يا أخي بتعمل فيا كدة ليه؟! أنا عملتلك إيه لكل الذل اللي عيشــتهولي وبتعيشــهولي ده كل ده ليه؟ ها عشــان ســلمتلك نفسي ولا عشان لقيتني عيلة صغيرة متناسبش مالك بيه النويري!

انســابت عبراتها رغمًا عنها فاســترســلت حديثها الذي كان كخنجر يمزق أحشــاءه ببطء: أرجوك يا مالك قولي إنك لســة بتحبني وإنك مش شــايفني رخيصة، وإني في نظرك لسة هنا البنت الصغيرة اللي ربتها على إيدك أرجوك.

هربت دمعة يتيمة من مقلتيه فأزالها على الفور، ثم دنى منها يجذبها إليه زارعًا إياها في صــدره حتى كاد أن يهشــم أضــلعها تشــبثت بقميصــه، وراحت تبكي بقهر وهي تغمغم بخفوت: أنا بموت يا مالك.

ضــمها أكثر إليه وهو يتمتم: بعيد الشــر عنك يا قلب مالك غصــب عني والله يا هنا.

دفعته بكل ما أوتت من قوة ثم رمقته بغضـــب هادرة به: هو إيه ده اللي غصب عنك كل شوية تقولي كدة متفهمني وتريحني؟

خفض رأســه أرضًــا متهربًا من الإجابة ماذا ســيقول لها؟ وكيف ســيخبرها كيف؟

أفاق من توهانه عندما شــعر بأنفاســها الحارة قريبة منه رفع عينيه إليها ثم رفع يده كي يُبعدها، لكن في أقل من الثانية تشــبثت في عنقه، ولفت ســاقيها حول خسره ثم انقضت على شفتيه تقبّله بجنون واشتياق.

شـــعر بالخدر من فعلتها الجريئة تلك، ولم يشـــعر بنفســـه إلا وهو يعانق خسرها بيديه، ويبادلها القبلة بلهفة وعشق شدييد.

****

وقفت أمام باب الغرفة تنظم أنفاســها الثائرة، ومن ثم أدارت مقبض الباب وولجت صــدرت عنها شــهقة مكتومة جعلت مالك يفصــل قبلتهما العاصــفة وأنزل هنا أرضًــا وهو يكاد يُجن! مما حدث هُرع للخارج وهو يلعن ذاته ويلعن ضعفه تجاهها..

أما بالداخل فقد ارتمت هنا على الفراش وضربات قلبها تكاد تصم أذنيها.

قهقهت مارلين بصخب وهي تتجه لتجلس بجوارها مردفة باستفزاز: إيه قلة الأدب ده يا ســت هنا هو ده مالك اللي مش طيقاه أومال لو طيقاه بقى كنتي عملتي إيه؟

ابتسـمت بنعومة وتنهدت بهيام شـديد ثم غمغمت بخفوت وصـل إلى مسـامع مارلين: بيحبني مالك لسه بيحبني.

زفرت بنفاد صــبر هاتفة بحنق: طيب احكيلي إيه اللي حصـــل بالتفصـــيل الممل؟

أشــرق وجهها بابتســامة فرحة وراحت تقص عليها ما حدث منذ ولوج مالك الغرفة والأخرى تستمع إليها بتركيز شديد.

****

قبل قليل ارتمى على فراشــه وهو يجذب خصــلاته بقوة فهو لا يصــدق ما فعله، كيف له أن يقبلها بتلك الحميمية؟ وهي محرمة عليه كيف ســمح لمشاعره الهوجاء أن تنساق خلف رغباته كيف وكيف؟

أخذ يؤنب ذاته وبداخله بركان إذا خرج سيحرق الأخضر واليابس.

التقط علبة ســجائره وأخرج منها واحدة ثم دلف إلى الشــرفة كي يفكر في طريقة يُبعد بها معذبته عن حياته وقلبه.

****

في منزل معتز..

وبالتحديد في غرفة ميار..

اســتلقت على ظهرها مســتعدة للنوم لكنها أجفلت على صــوت ميار الذي، ارتفع فجأة وهي تردد أغاني أحد المهرجانات الشهيرة

أندال أندال أندال..

والله مفيكم جدعان..

بس أشهدلكوا رجالة كلكوا..

لما بتحضر نسوان..

طب بصو الخطة الجيه..

أنا هشتري مركبة فضائية..

وهصاحب فضائيين......

قاطعتها بصياح: مياااااااار كفااااياااا صوتك نشاذ وبعدين أنا تعبانة وعايزة أنام!

وبعدين إيه القرف اللي بتسمعي؟

أطفأت الهاتف ثم نزعت سماعة الأذن من أذنيها وتشدقت بمزاح: مبسوطة يا معقدة؟ دا أنا كنت لسه هشغل الصب وأسهر مع بيكة وشاكوش للصبح. بس يلا مش مشكلة هسيبك تنامي يا يويو عشان أنتِي ساعدتيني إني أحقق حلمي النهاردة.

استلقت بجوارها على الفراش وهي تحلق في السماء من فرط السعادة التي تشعر بها.

****

حل الصباح وأشرقت الشمس لتنير الكون بضوئها الرباني:

فاستيقظ الجميع في منزل النويري..

والتفوا حول طاولة الإفطار باستثناء مالك الذي لم يذق طعم النوم فقد قضى ليلته في الشرفة يدخن بشراهة؛ فهو يشعر بالذنب حيال ابنة عمه وطفلته الصغيرة أنهى آخر سيجارة معه ثم وضعها في المنفضة الكرستالية، استمع لصوت طرقات خفيفة يليها دخول خضرة إحدى خادمات المزرعة

التي هتفت باحترام: الفطار جاهز يا سي مالك بيه والكل قاعد على الصفرة مستنين حضرتك.

قولي لهم يفطروا يا خضرة أنا مليش نفس ويا ريت تعملي لي فنجان قهوة سادة.

التقط محفظته من فوق المنضدة ثم أخرج منها ورقة نقدية من فئة المائتي جنيه مسترسلًا حديثه وهو يقدمها لها: خدي الفلوس دي اديها لمصلحي خليه يجيبلي علبتين سجاير l m أحمر.

أخذت النقود من يده وهي توزع نظرها بينه وبين المنفضة التي أمتلأت ببقايا السجائر تعجبت كثيرًا، فعلى حد علمها أن مالك لم يدخن قط؟

لكنها ابتلعت فضولها بداخلها ولم تعقب ودلفت للخارج كي تنفذ أوامر سيدها..

أما عنه فقد تعب من كل شيء لو كان الانتحار حلالًا لكان فعلها منذ زمن كي يرتاح.. أسند رأسه على المقعد وأغمض عينيه ليمر أمام عينيه ذكرى أسوأ يوم عاشه في حياته.

قبل أكثر من عام ونصف..

اقتحم مالك مكتب والده يحمل بين يديه علبة حمراء وعلى وجهه ابتسامة عذبة؛ فاليوم ستتم حبيبته ثمانية عشر ربيعًا اليوم سيخطبها رسميًّا يا الله! كم حلم بهذا اليوم تلاشت ابتسامته عندما أبصر هيئة والده المذرية، فقد

كان جالسًا خلف مكتبه يحمل إحدى الزجاجات استشف أنها نوع فاخر من أنواع الخمور شعره مبعثر أزرار قميصه مفتوحة.

جحظت عينيه في صدمة هاتفًا باستنكار: إيه ده يا بابا خمرة حضرتك من إمتى بتشرب الأرف ده؟

قهقه بهستيريا ثم تحدث بصوت متقطع من أثر الشرب: تعالى يا لوكة خدلك كاسين دي الخمرة دي طلعت حكاية!

مد يده إليه بالزجاجة مسترسلًا حديثه: خد دوق مش هتندم صدقني.

هز رأسه بعدم تصديق فلطالما كان والده رجل الفضيلة والشرف يحافظ على صلاته، يؤدي فروض الله دون كل أو مل

كيف يفعل شيئًا من الكبائر؟ كشرب الخمر استغفر ربه بخفوت ثم دنى منه ملتقطًا زجاجة الخمر من يده، سائلًا إياه بوجل: مالك يا بابا إيه اللي حصل بس؟

وكأن سؤاله أعطى له الضوء الأخضر لينهار صارخًا بقهر: خانوني يا مالك أقرب اتنين ليا خانوني طعنوني في ضهري قتلوني بالبطيء.

اتسعت عيناه من هول ما سمع هاتفًا بحدة: مين دول يا بابا تقصد مين بكلامك؟

أجابه بصراخ كاد أن يمزق أحباله الصوتية: أمك وعمك.

انسكبت عبراته واسترسل حديثه بكسرة رجل انهار كبرياؤه ودعست كرامته وشرفه بالأقدام: ليلى اللي محبتش حد أدها واللي عمري مبصيت لغيرها!

ليلى اللي لو كانت طلبت حياتي كنت اديتها لها من غير تفكير، خانتني مع مين مع كمال أخويا الصــغير كمال اللي متجوز أختها.. الحقيرة خانتني وخانت أختها شفت يا مالك أنا طلعت مغفل إزاي؟!

أخذ يضحك ويبكي.. من يراه يظن أنه فقد عقله..

لم يصدق ما يتفوه به والده فلطالما كانت والدته مثالًا للعفة والطهارة، حتى عمه كمال كان رجلًا عاقلًا يحب زوجته، فصـــاح به: جنوووون اللي بتقوله ده جنون فوق يا بابا فوق!

صرخ به: دي الحقيقة يا بني!

ثم التقط مظروفًا كبيرًا وناوله إياه مســترســلًا حديثه بوجع: خد شــوف واتأكد!

التقط المظروف بلهفة ثم شــرع في فتحه صــدرت عنه شــهقة عندما أبصــر صــورًا لوالدته المتوفاة وعمه في وضــع حميمي ألقى بالصــور والتقط إحدى الأوراق، لكن كانت هذه الورقة هي القشـــة التي قســـمت ظهر البعير كانت عبارة عن نتيجة تحليل إثبات النسب لمعشوقته الصغيرة.

ألقى الورقة ثم جثى على ركبتيه متحدثًا بضياع: يعني إيه يعني هنا تبقى أختي من أمي طيب إزاي إزاي؟!

ظل يهذي بتلك الكلمات حتى سقط مغشيًا عليه.

****

استفاق من شروده عندما شعر بسائل دافئ يحرق وجنتيه، فأزالها بأنامله بقسوة صائحًا بغضب: أنا مش هعيش بقية حياتي متعذب بالشكل ده؟ لازم أفوق وأبدأ من جديد لازم.

هبَّ واقفًا يمشي بخطًى واسعًا هابطًا الدرج متجهًا حيث يمكث الجميع في غرفة الطعام.

ولج بثبات ملقيًا تحية الصباح بجمود، ومن ثم أردف بقوة واهية: فرحي أنا ونسرين آخر خميس في الشهر ده قلت إيه يا فاروق بيه؟

اتسعت ابتسامته مردفًا بسعادة: على بركة الله مدام أنتوا متفقين يبقى خلاص.

هتفت السيدة شهيرة والدة نسرين: بس إحنا مش هنلحق نعمل حاجة في أسبوعين...

قاطعتها نسرين التي كانت تشعر بالغبطة متحدثة بنعومة: متقلقيش يا ماما أنا واثقة إن مالك هيلحق يجهز كل حاجة.

نهضت هنا التي شحب وجهها تلتها مارلين التي رمقت مالك بكره واحتكار شديد.

تابعهما مالك حتى اختفتا من أمام ناظريه، وجلس يتجاذب أطراف الحديث مع السيد فاروق ويتفقون على كل التفاصيل.

****

واقف أمام صورة لسيدة جميلة يتلمسها بشرود مغمغمًا بخفوت: سامحيني يا قلبي كان لازم أعمل كدة أنتِي كنتِي حبيبتي أنا قبله!

قاطع حديثه صوت رنين هاتفه سار ببطء والتقطه بهدوء ثم أجاب: نعم.

استمع لصوت الطرف الآخر قليلًا، فاتسعت ابتسامته رويدًا رويدًا وتحدث بسعادة: الله ينور عليكِي هو ده الكلام المظبوط.

أغلق الهاتف وهو يبتسم بانتشاء مردفًا بوعيد: بالشفا يابن سالم النويري تعيش وتأخد غيرها صــــدقني اللي جاي كتيير أوي؛ لازم آخد حقي منك وأحرمك من السعادة زي ما أهلك حرموني منها.

****************،

الفصل السابع

ما أجمل أن يكون لديك

صديق بمثابة أهل!

يساندك عند الطموح..

يؤازرك وقت الشدة..

يساندك أثناء النجاح..

يدفعك نحو الأفضل.

من قال إن الزوج الصالح والمال الوفير هما فقط رزق، كلا؛

فالعائلة المترابطة رزق..

الأخت الحنونة رزق..

والأخ المتفاهم رزق..

فالرزق يكمن في تفاصيل كثيرة نعيشها ولا ندري بها..

كالصحة والستر والقناعة..

وأيضًا يكون في صديق بمثابة أهل.

****

راحت تدور في الغرفة كالمجنونة، قلبها يؤلمها بشدة على صديقتها التي تدفن وجهها بين كفيها وتنتحب بنشيج يمزق نياط القلوب.

كم تمنت في تلك اللحظة أن تذهب إلى المدعو مالك، وتخدش وجهه البغيض بأظافرها حتى تدميه!

لكن كل هذا لم يطفئ النيران التي تضرم في قلب صديقتها.

سحقت أسنانها بغضب، ثم دنت من صديقتها تجذبها إلى صدرها وهي تتحدث بشراسة: مش كفايا يا هنا البني آدم ده ميستاهلش دمعة واحدة من عنيكِي ارميه ورا ضهرك! وركزي في دراستك أنتِي مش كنتِي عايزة تسافري أمريكا تكملي دراستك هناك؟

أومأت موافقة.

فاسترسلت حديثها بثبات: يبقى تسافري تكملي كليتك هناك، وسيبي الطب يا هنا ده مش طموحك وادخلي كلية فنون جميلة، واختاري حياتك بالشكل اللي يرضيكِي أنتِي مش اللي يرضي مالك.

أبعدتها عن حضنها وتابعت بصرامة وهي تمسح دموعها بأناملها: مفهوم يا هنا؟

أومأت موافقة وهي تدعو الله بداخلها أن يصبرها على فراقه ويشفي قلبها منه.

****

في مكان نزوره لأول مرة في عروس البحر الأبيض المتوسط، وبالتحديد في حي من الأحياء الراقية تقف فتاة في منتصف العقد الثالث من عمرها، تمتلك عينين زرقاوين بلون السماء، وبشرة بيضاء، شعرًا ذهبيًّا كقرص الشمس المتوهج جسد متناسق أمام مرآتها، وعلى وجهها ترتسم ابتسامة حزينة ظلت تتأمل هيئتها مرارًا وتكرارًا؛ علها تجد شيئًا تجلد به ذاتها عبثت بخصلاتها الطويلة قليلًا ثم عادت بذاكرتها للوراء.

كانت تمارس هوايتها المفضَّلة ألا وهي لعبة التنس، توقفت قليلًا كي تستريح لكنها أجفلت عندما استمعت إلى ثرثرة فتاتين يبدو أنهما يتهامسان عليها، استرقت إليهما السمع فظهر الحزن جليًّا على وجهها الجميل عندما استمعت كلماتهما المسمومة، فقد قالت إحداهما: إيه ده يا بنتي؟! مش دي أمنية سامي يخرب بيتها زي القمر تحسي إنها ما بتكبرش!

تحدثت الأخرى بفظاظة: أهو على الرغم من جمالها ده إلا إنها عانس أنتِي عارفة دي عندها كام سنة؟

ابتعدت عن مرمى حديثهما وبداخلها تتمزق من الألم؛ فهؤلاء الناس يجلدون بعضهم البعض بدون شفقة أو رحمة، دمعة يتيمة انسكبت من عينيها أزالتها على الفور، ثم عادت تكمل رياضتها بنشاط وحيوية؛ وكأنها تثبت للجميع أنها ما زالت صبية صغيرة.

استفاقت من شرودها على صوت طرقات فوق بابها يليها دخول أخيها الأصغر، منحته ابتسامة عذبة زادتها جمالًا فوق جمالها.. بادلها الأبتسامة ثم تشدق وهو يلج الغرفة: القمر بتاعنا بيعمل إيه؟

أجابته بخفوت: أبدًا يا حبيبي أنا صحيت صليت الصبح، وكنت بجهز نفسي علشان ننزل نفطر سوا أنا وأنت وماما.

بعثر خصلاتها الطويلة، ثم أردف بمغازلة: يخرب بيت جمال أملِك يا شيخه هو في حلاوة كده؟

ابتســمت له بامتنان؛ فذلك الرجل الرائع دائمًا ما يغازلها كأنه بفعلته تلك وبكلماته المعســولة يمنح لها ثقتها في نفســها ويجددها على الدوام، دنت منه ثم عانقته بحب شديد مغمغمة بخفوت: ربنا ما يحرمني منك ابدًا يا أمجد.

بادلها العناق ثم أبعدها برفق وتحدث باســتفزاز: جرى إيه يا ماما؟ أنتِ استحلتيها ولا إيه ابعدي عني أنا متوضي..

قهقهت بصخب ثم وقفت على رؤوس أصــابعها، وقبَّلت وجنته بقوة مردفة بحزم: طيب يلا يا حلو على تحت، زمان ماما إلهام هتولع فينا بجاز.

قبَّل أعلى رأسـها ثم اسـتدار دالفًا للخارج وهو يقول بتحذير: ورايا على طول يا أمنية، أومأت برأســها وكأنه يراها، ثم ألقت نظرة أخيرة على هيئتها وتبعته على الفور.

****

بعد مرور يومين..

عاد الجميع من رحلة المزرعة القصيرة وبداخل كل منهم شعور مختلف، بدأ الجميع التجهيز للعرس على قدم وســاق، لم تســتطع هنا البقاء في القصــر كثيرًا؛ بل كانت أغلب اليوم تقضــيه في الخارج مع صــديقتها مارلين، أما عن مالك فقد كان غاضبًا من تغيُّبها المستمر عن البيت، لكنه لم يستطع التفوه ببنت شــفة، كان يكظم غيظه بداخله، لم يشــعر به أحد ســوى صــديقه المقرب معتز، الذي كان يحلق من فرط ســعادته بســبب قربه الجديد من حبيبته العنيدة، لكن كان يُخفي تلك السعادة حرصًا على مشاعر صديقه.

توالت الأيام حتى جاء اليوم المنتظر وهو العرس، بدأ الجميع الاستعداد لذلك الحفل المنتظر، فهو سيجمع عائلتين من أرقى العائلات في البلد، رجل الأعمال مالك النويري من ابنة طبيب القلب الشهير فاروق الشاذلي.

حلَّ المساء وبدأ المدعوون بالتوافد في قصر النويري، فقد كان هذا الحفل في حديقة القصر الذي حرص على أن تكون مزينة من قِبَل متخصصين مسؤولين عن تلك المناسبات.

وقف معتز يستقبل الحضور وكذلك السيدة هدى كانت تستقبل النساء بحفاوة.

والآن حانت اللحظة لدخول العروسين، فقد ولج مالك الحفل متألقًا في بذلة سوداء وقميص أبيض ورابطة عنق من نفس لون البذلة.

تتأبط ذراعه نسرين التي كانت تتألق في فستان زفاف أنيق صنعه أشهر مصممي الأزياء، تركزت عدسات الكاميرات عليهما، وتعالى التصفيق من الحضور بعد أن استقرا في المكان المخصص لهما راحَ يبحث بعينيه عنها فلم يجدها، شعر بالقلق قليلًا لكنه يعلم أنها حزينة وغاضبة منه.

ثواني ووقع بصره عليها تدنو منهما وهي تتهادى في ثوب وردي أنيق من الستان يصل إلى كاحلها، لكنه شعر بالغضب عندما أبصر تلك الفتحة التي تصل إلى فخذها، وكأنها تعلن تمردها عليه أو بالأحرى تقول له إنه خرج من حياتها للأبد.

وقفت قبالته ثم رفعت يدها لتضـعها في يده، وهي تتشـدق ببرود: مبروك يا ابن عمي، أتمنى لك السعادة من كل قلبي.

أومأ لها بخفة ثم ضـغط على يدها بقوة أجفلتها متفوهًا من بين أسـنانه: ايه القرف اللي أنتِ لبسـاه ده؟ ابتسـمت باسـتفزاز: حاجة متخصـكش يا ابن عمي، يا ريت تخلي تحكماتك دي لمراتك اللي قاعدة جنبك، واللي فاضـل لها شـوية وهتطلع نار من ودنها عشـان أنت ماسـك إيدي سـيب إيدي عشـان أنا عايزة أبارك لها.

ترك يدها على مضـض، ثم دنت من نسـرين مقبّلة إحدى وجنتيها مردفة باصـفرار: مبروك يا نسـرين. ابتسـمت لها بنصـر، ثم تمتمت بغلّ: الله يبارك فيك يا هنا، ربنا يسـعدك يا حبيبتي وتلاقي شـخص مناسـب تتجوزيه، أنا عارفة إنك كنتِ حاطة عينك على مالك، بس مالك خلاص بقى متجوز يعني شـغل حركات البنات المراهقين والتلت ورقات ده ما بياكلش معاية، ربتت على وجنتها بخفة: مفهوم يا حبيبتي.

دفعت يدها بقوة ثم أجابتها بكره شـديد: ما تقلقيش مش أنا اللي هاجري ورا واحد متجوز، مالك دلوقتي ابن عمي وبس وخليك فاكره يا نسـرين إن مالك ما فيش حد في قلبه غير هنا وبس، هيفضـل حبه ليا لعنة هتطاردك طول حياتك، وافتكري كلامي ده كويس. ألقت كلماتها دفعة واحدة وغادرت من أمامها تاركة الأخرى تتواعد لها بالكثير والكثير.

بينما مارلين راحت تبحث عنه وســط الحضــور، شــعرت بأحدهم يعانق خصرها من الخلف، استدارت كي توبخه لكنها سرعان ما ابتسمت مردفة برقة أذابته: خضتني يا معتز، أمسك يدها ورفعها إلى فمه مغمغمًا بخفوت: سلامتك من الخضة يا قلب وروح معتز. احمرت وجنتاها خجلًا، ثم سحبت يدها بهدوء. تأمل فستانها الأسود القصير بعدم الرضا، ثم تحدث بحدة طفيفة: إيه الفستان ده يا مارلين؟ أجابته ببراءة: إيه ماله شكله وحش؟ أردف من بين أسنانه: لا يا روحي بس قصير قوي، أنتِ أصلًا أي حاجة بتلبسيها بتبقى حلوة عشان أنتي لبساها. ابتسمت بانتشاء.

فأي أنثى تعشق مغازلة الرجل لها، حتى إن لم تُظهر ذلك؛ لكن الأنثى كزهرة تريد أن تُروى باستمرار كي تزهر وتنضج.

ظلا يحدقان ببعضهما وعيناهما تتفوه بالكثير.

إيه ده، أبيه معتز هو أنت هنا؟ ماما بتسأل عليك، لو تعرف إنك سايب الحفلة وواقف تتكلم مع مزز حتطين عيشتك، رمقها معتز بغضب، بينما مارلين انفجرت ضاحكة على تلك الفتاة خفيفة الظل. أيقنت من كلامها أنها إحدى أقاربه، مدت يدها بغرور مصطنع لتصافحها، محسوبتك ميار أخت معتز الصغيرة ودلوعة العيلة وأمورة العيلة ومزة المزز بتاعة العيلة برضو.

****

جذبها معتز من حجابها وهو يتشدق بحدة طفيفة: أنتِ ايه اللي جابك هنا يا أوزعة أنتِ؟ لوت شفتيها باستفزاز وأجابته بحزن مصطنع: أصل الحفلة

كلها ناس متكتفين كده، حتى الموسيقى اللي شغالة تنيم، بذمتك ده فرح ده وبعدين أنا لقيت نفسي لوحدي قلت آجي أغلس عليك شوية، كنت قاعدة مع ماما بس هي سابتني وراحت قعدت مع طنط هدى. زفر معتز بنفاد صبر مغمغمًا من بين أسنانه: يخرب بيت فصلانك يا شيخة، طيب أنتِي عايزة إيه دلوقتي؟ أجابته ببراءة مصطنعة: أبدًا يا ميزو يا حبيبي أنا هاقف مع البنت الحلوة دي وأحكي لها على مميزاتك اللي ما فيش زيها وكمان أحكيلها على عاداتك السلبية، آه ما هي لازم تبقى على نور برده إحنا لسه على البر، ربت على مؤخرة رأسها بقوة ثم أردف بتوعد: لا متشكرين مش محتاجين خدماتك، هي عارفة عني كل حاجة، هتفت باندفاع كعادتها: آآآه ده أنتو مأنتمين من زمان بقى؟ رمقها بتحذير جعلها تبتلع باقي كلماتها، ثم تنحنحت بإحراج مردفة بتلعثم: طيب أنا هاروح أشربلي عصير ولا آكل حتة تورتة، تفتكر البوفيه فتح؟ ألقت كلماتها دفعة واحدة، وهرولت بعيدًا عن مرمى بصره ونظراته التي كادت تحرقها.

انخفضت الإضاءة وصدحت موسيقى إحدى الأغاني الأجنبية الهادئة، فأمسك مالك كف نسرين واتجه بها إلى ساحة الرقص ليبدءان رقصتهما الأولى، حاوطهما الجميع بشكل دائري يصفقون ويغنون كلمات تلك الأغنية بصوت مرتفع.

أما هنا فلم تستطع التماسك أكثر من ذلك، فقد انزوت بنفسها في أحد الأركان البعيدة عن مكان الحفل، خلعت قناع الجمود واللا مبالاة، وسمحت

لعَبَراتها بالهطول، تعالت شـهقاتها وصـراخها حتى كاد أن يمزق أحبالها الصوتية. شعرت بالضياع والفقدان الحقيقي فالآن فقط أيقنت أن قصتهما انتهت انتهت للأبد، أزالت دموعها بأناملها بعنف شديد التي لم تتوقف وكأنها شلال، استقامت واقفة ثم اتجهت إلى السلم الداخلي للقصر.

****

يا نهار أبيض أنا ايه اللي هببته ده، ده معتز هيعمل مني بطاطس محمرة، أنا الأحسن أول ما أروح أطلع على أوضتي وأعمل نفسي نايمة. على طول قاطع حديثها مع نفسـها صـوت أحدهم: إيه ده بتكلمي نفسـك ليه اتجننتي؟ استدارت لتتعرف على هوية ذلك المتطفل، كادت أن تصرخ به لكن الكلمات ماتت على شفتيها عندما أبصرته قبالتها بطوله الفارع، وطلته الوسيمة التي تخطف الأنفاس وتسلب العقول، حدقت به بعدم تصديق ثم مدت يدها تتلمس ذراعه، مغمغمة بخفوت وصـل إلى مسـامعه: أنت بجد ولا دي تهيؤات؟ كالعادة كادت أن تنفلت ضحكة صـاخبة من بين شـفتيه، لكنه كبحها مردفًا بصوته الرخيم: لا أنا بجد يا مجنونة. قفزت من فرط السعادة ثم راحت تصـفق بيديها كطفلة صـغيرة منحها والدها بعض الحلوى، راح يتلفت يمينًا ويسـارًا، ثم استرسـل الحديث بحدة طفيفة: اعقلي يا مجنونة إحنا في وسط ناس، ايه اللي أنتِ بتعمليه ده. خرج صوتها أخيرًا: أستاذ أمجد حضرتك بتعمل ايه هنا؟ أجابها بسخرية: أبدًا غلطت في العنوان، تأفف من سـماجتها تلك وأردف: يعني فرح ومعازيم هاكون جاي أعمل ايه يا أم مخ

صغير أنتِي؟! ازدردت ريقها ثم تنحنحت بإحراج: آه صحيح معلش أصلي لما شفت حضرتك ما صدقتش نفسي، دنا منها قليلًا ثم همس بالقرب من أذنها: أنا أبقى صديق مالك النويري ومعتز الشامي، ده سر ما تقوليهوش لحد. لمعت عيناها ثم تحدثت بجدية: لا ما تخافش أنا عمري ما هقول لحد، هذه المرة لم يستطع كبت ضحكاته، فتلك الفتاة إما أن تكون مجنونة أو بلهاء.

رباه، أشعر أن قلبي سيتوقف، كيف لرجل واحد أن يملك تلك الوسامة؟ كيف يكون جذابًا حتى في كتاباته وكأن الله منحه هالة خاصة به تجعله مميزًا عن الآخرين، لاحظ تحديقها به فتنحنح بخشونة ثم هتف بعجلة: طيب فرصة سعيدة يا ميار، بعد إذنك هروح أسلم على العريس. أومأت له وهي تشعر بأن قلبها سيخرج من مكانه، تذكرت كلماته بأنه صديق أخيها؛ إذن عليها استغلال هذه المعلومة لتصل إلى قلبه.

****

ولجت إلى غرفتها بخطى مرتعشة، اتجهت إلى مرآتها فشهقت بقوة عندما أبصرت هيئتها المزرية، فقد تلطخ وجهها بالكحل الأسود الذي اختلط بدموعها، ضمت يدها وراحت تضرب قلبها بقوة وهي تصرخ بقوة: آآآآآآآآآآآآآآه مش قادرة أتحمل، ليه يا مالك ليه؟ دانا عمري محبيت غيرك.

خارت قواها وارتمت على الأرض تنتحب بقوة هي لم تصدق بأنه الليلة سيكون لغيرها، سيحتضنها ويُقبلها كما كان يفعل معها..

لماذا فعل بها ذلك؟

هل كل هذا لأنها منحته جسدها وقلبها.

اللعنة على تلك الليلة التي قلبت حياتهما رأسا على عقب.

فما ذنبها؟ أنها لم ترَ رجلًا غيره، وكأن والدتها أرضعت كل الرجال عداه؛ كي يبقى هو الرجل الوحيد الذي يجوز لها.

مالك حب طفولتها ومراهقتها وشبابها.

كيف له أن يتزوج غيرها ويتركها؟

هل كان كل هذا العشق مجرد وهم؟

كيف يكون قاسيًا لهذه الدرجة؟

لمعت في رأسها فكرة، فاستقامت واقفة ثم اتجهت إلى طاولة الزينة، فتحت أحد الأدراج وبحثت بها، حتى وجدت ضالتها التقطتها بخفة ثم ابتسمت ابتسامة مهزوزة وهي تُقنع ذاتها بأن ما ستقدم عليه هو الصواب.

فبموتها سيرتاح الجميع وأولهم هي، رفعت تلك الآلة الحادة إلى معصمها وبسرعة رهيبة قطعت شرايينها، تدفق الدم من يدها بغزارة فاستلقت فوق الأرضية الصلبة، وآخر شيء رأته قبل أن تستسلم لتلك الغمامة السوداء هي ابتسامته الدافئة التي كان يخصها بها وحدها.

****

الفصل الثامن

الانتحار قرار بمساعدة شيطان

تلك الظاهرة أصـبحت منتشـرة بكثرة في الآونة الأخيرة، فقد يقبل عليها بعض المراهقين والمراهقات هروبًا من شيء ما.

بفعلتهم تلك يعتقدون أنه الحل الأمثل للهروب من الواقع الذي يعيشونه.

من أخبرهم أن هذا القرار يحق لهم؟ فالروح ملك لمن خلقها ألا وهو اللّه -عز وجل-، هذه الظاهرة أصـبحت أمرًا واقعًا بسـبب البعد عن الدين وتخلي الأهل عن وظيفتهم الحقيقية ألا وهي التربية السـليمة، فكل ما يشـغل الأهل الآن هو جمع المال من أجل أن يُحيوا أبناءهم حياة كريمة، ولكن أي حياة يعيشـونها وهم فاقدون للحياة؟ الحياة ليسـت مجرد شـهوة كالطعام والشـراب والجنس، بل الحياة أسـمى من ذلك بكثير. لم يخلقنا اللّه لنأكل ونشـرب ونتكاثر فقط بل خلقنا لنعبده ونطيعه وحده -عز وجل-.

ثم من أخبركم أن الموت بتلك الطريقة المؤذية للقلب قبل الجسـد راحة؟ لا واللّه لن ترتاح أبدًا؛ لأنك اتخذت قرارًا ليس من حقك، ارتكبت إثمًا عظيمًا، كبيرة من الكبائر، ألا وهو قتل النفس التي حرمها وجرمها اللّه في كل الأديان السماوية.

الراحة ليسـت في الموت، بل الراحة في الحياة، الحياة السـليمة المفعمة بطاعة الله -عز وجل-.

****

لو سمحتي ما تعرفيش أروح التواليت ازاي؟

رفعت مقلتيها ثم أجابت بمزاح: ايه ده هو القمر بيطلع أول الشـهر عادي يعني كده.

ضحكت بنعومة، ثم أردفت بخفوت: ميرسي، والله أنتِ اللي قمر.

تسلمي يا قمر، أنا ميار الشامي، والقمر تبقى مين؟

أجابتها ببسـاطة: أمنية سـامي. فغرت فاهها بدهشـة ثم تحدثت بعدم تصديق: أيوه أيوه أنتِ أخت الأستاذ أمجد، بشوف صورك دايمًا معاه على فيسـبوك، أومأت بخفة، ثم سـألتها: وأنتِ متابعة أسـتاذ أمجد على الفيسبوك؟

طبعًا ده أنا متبعاه على فيسبوك والإنستغرام وتويتر وكل حاجة..

ده أنا فضلي شوية وأتابعه من قدام بيته، آه والله. ضحكت بنعومة على تلك الصـغيرة التي يبدو من حديثها أنها مغرمة بأخيها كباقي المراهقات من جيلها. مدت يدها لتصافحها، فرصة سعيدة يا أمنية، بادلتها السلام، وأنا أسعد يا ميار، جذبتها من يدها ثم أردفت طريق الحمام. وبالمرة في حاجة عايزة أقولك عليها، ما تزعليش مني أنا أول ما شفت صورتك مع الأستاذ أمجد قلت عليكي بنت ملزقة وعايزة ترتبطي بيه، ما هو أنا ما كنتش أعرف إنك أخته، بعد

كده لقيته منزل بوست وكتبلك فيه أختي ونور عينيا وعاملك منشن، ساعتها قلت الحمد لله وقمت صليت ركعتين شكر.

قهقهت بصخب ثم سألتها بهدوء: أنتِي عمرك كم سنة يا ميار؟ أجابتها بتلقائية: ١٨ سنة، وفي ثانوية عامة، ونفسي أدخل كلية فنون جميلة.

ابتسمت بعذوبة ثم تشدقت بهدوء: ربنا يوفقك يا رب، ومستنياكي في فنون جميلة، سألتها بلهفة: ايه ده أنتِي لسه بتدرسي ولا ايه؟

أنا معيدة فيها، صفقت بحماس: أيوة بقى، بقول لك ايه ما بتديش دروس خصوصية؟ عشان تديني دروس خصوصية بس عندك في البيت، ربتت على رأسها بخفة: عيوني ليكي يا ميار.

توقفت أمام باب مغلق ثم أشارت إليها: اتفضلي هو ده الحمام، تحبي أستناكي. أجابتها بابتسامة عذبة لو مش هتعبك استنيني أصل أنا حبيتك قوي يا ميار، وأنا أقسم بالله، ده كفايه إنك من ريحة الغالي. هزت رأسها بقلة حيلة، من تلك الصغيرة خفيفة الظل التي تدخل القلوب بدون استئذان؟

لم يستطع التظاهر بالسعادة أكثر من ذلك، إذ أشار لصديقه معتز أن ينهي ذلك الحفل؛ فأسرع الآخر بتلبية طلب صديقه.

أخذ مكبر الصوت وراح يمزح مع الحضور، إذ قال: يا جماعة الظاهر إن العريس مستعجل، يلا نتمناله السعادة ونودعهم عشان يطيروا يقضوا أحلى شهر عسل.

صفق الحضور بحماس، وأطلق الشباب الصفير.

وعلى الجانب الآخر عند السيدة هدى، كانت تجلس مع بعض سيدات المجتمع؛ إذ هتفت إحداهم: هي يا هدى هانم هنا ليه مش باينة؟

ردت أخرى: أكيد زعلانة عشان مالك اتجوز غيرها، كلنا كنا عارفين قد ايه هي كانت متعلقة بمالك.

شعرت السيدة إلهام بارتباك هدى فأردفت منهية هذا النقاش السخيف: أعتقد يا جماعة إن النهارده فرح مالك على نسرين، وأكيد اللي كان بين مالك وهنا كان لعب عيال، يا ريت نقفل بقى على الموضوع دوت وبينا نودع العرسان.

استجبن لكلامها ثم نهضن وبداخل كل منهن الكثير من الأسئلة.

هتف بحدة: يا بنتي هو أنتِ بتقولي شكل للبيع، ما قلت لك ما كانش ينفع آخدك معايا، كنت هاقدمك للناس بصفتك ايه، هاقول لهم صاحبتي مثلًا.

أخفض صوته كي يكون أنعم قليلًا، ثم استرسل حديثه برومانسية مفرطة: إن شاء الله يا حبيبة قلبي المناسبة الجاية تكوني معايا بس يكون في بيننا صفة رسمية، أنا ما أقبلش حد يتكلم نص كلمة عليكي، يلا سلام دلوقتي يا روحي ولما أروح هرن عليكي.

أغلق الهاتف وهو يزفر براحة ثم تحدث بحدة: يا ساتر بنات نكدية.

ولج للداخل فوقع بصره على أخته تمشي بجوار شقراء فاتنة، ابتسم بخبث ثم دنا منهما رسم على وجهه ابتسامة ماكرة، وقف قبالتهما وراح يتأمل تلك الحسناء بإعجاب شديد.

انزعجت من وقاحته فقررت الانسحاب، كادت أن تسحب يد ميار لكن الأخرى أوقفتها مردفة بسعادة: أمنية أحب أعرفك محمود أخويا.

ابتسمت بمجاملة ثم استأذنت بلباقة؛ كي تبتعد عن مرمى نظراته الوقحة من وجهة نظرها.

استدارت لتذهب لكنها فوجئت بميار تسير بجانبها تاركة أخاها في مكانه، لمحت ميار والدتها تجلس مع بعض النساء، فهتفت بسعادة: ماما هناك أهه، تعالي أما أعرفك عليها، سحبتها باتجاه الطاولة اللاتي يجلسن عليها. وقفت أمام والدتها مردفة بصوت مرتفع: ماما أحب أعرفك على أمنية سامي أخت الكاتب الشهير الأمور أمجد سامي.

ابتسمت إلهام رغمًا عنها على عفوية تلك الصغيرة التي تغازل ابنها أمام النساء، تأملتها بإعجاب شديد بدءًا من فستانها البنفسجي وحجابها الذي يمثل لون فستانها، ناهيك عن وجهها البريء الخالي تقريبًا من مستحضرات التجميل. شعرت والدتها بالخجل فتنحنحت بإحراج مردفة بمزاح: معلش يا جماعة ميار كده دايمًا بتحب تهزر، ابتسم الجميع بينما السيدة إلهام مدت إليها يدها، فالتقطتها ميار على الفور، فأردفت: أنا إلهام والدة الكاتب المشهور الأمور أمجد سامي.

ابتسمت ميار بسعادة ثم ضغطت على يد تلك السيدة البشوشة مردفة بعفوية: وأنا أقول العيال طالعين مزز لمين، أتاريكي يا طنط تقولي للقمر قوم وأنا أقعد مكانك، أكيد أنتم أصلكم أتراك.

ضحك الجميع بسببها ثم أخذن يتجاذبن بعض الأحاديث مع تلك الصغيرة المفعمة بالحيوية والجمال الداخلي، التي تسلب القلوب قبل العقول.

أخذت تتلفت يمينًا ويسارًا بحثًا عن صديقتها، أجفلت على صوته الذي أتاها من الخلف: إيه يا بنتي مالك بتتلفتي حواليكي شبه الحرامية كده ليه؟

أجابته بخوف: مش عارفة يا معتز بقالي فترة مش شايفة هنا، ما تعرفش هي راحت فين، أقصد يعني ما شفتهاش. أجابها بهدوء: شفتها من حوالي خمس دقائق كده وهي داخلة القصر.

هرولت من أمامه متجهة إلى الداخل، صعدت الدرج بسرعة شديدة ثم أدارت مقبض باب غرفة صديقتها، ولجت بحذر تبحث بعينيها عنها. أطلقت صرخة مدوية عندما أبصرتها تفترش الأرض، ركضت باتجاهها لتتفحصها فوجدت ثيابها ملطخة بدمائها، تجمدت مكانها للحظات ثم انفجرت في بكاء مرير، استدارت دالفة للخارج ثم هبطت الدرج بسرعة مهرولة، فوجدته أمامها.. هتفت بصراخ: الحقني يا معتز هنا قطعت شرايينها.

جحظت عيناه في صدمة ثم تحدث بضياع: ازاي؟ صرخت بقهر: معرفش، أنا طلعت أبص عليها، لقيتها واقعة في الأرض والدم حواليها في كل حتة. لم يدعها تكمل حديثها؛ إذ صعد للأعلى ثواني ووجدته حاملًا جسدها الفاقد

للحياة بوجهها الشاحب الذي يحاكي شحوب الموتى. تحدث بجدية: اسمعيني كويس يا مارلين، إحنا هنطلع من الباب الخلفي للقصر؛ مش عايزين شوشرة ولا فضايح، ما تقلقيش هنا عايشة بس نبضها ضعيف يلا بسرعة تعالي معايا حنطلع من غير ما حد ياخد باله تمام.

أومأت باستسلام ودموعها تهطل بغزارة فوق وجنتيها، تبعته وهي تدعو الله أن يحفظ لها صديقتها.

بعد وقت ليس بالقليل، ولجت السيدة هدى القصر وهي تشعر بالإنهاك الشديد، ألقت بجسدها على أقرب أريكة، ثم سرعان ما انتفضت عندما تذكرت أنها لم ترَ هنا منذ مدة، صعدت إلى الأعلى ولم تلاحظ بعض قطرات الدم التي سقطت من هنا على الدرج، عندما كان يحملها معتز. فتحت الباب ثم راحت تنادي بصوت مرتفع قليلًا: هنا يا هنا، ماتت الكلمات على شفتيها عندما أبصرت بقعة كبيرة من الدماء تغطي أرضية الغرفة، لم تستطع الصمود وسمحت لتلك الدوامة السوداء أن تبتلعها وسقطت مغشيًّا عليها.

بينما في المشفى طمأنهما الطبيب على حالتها بعد أن ضمد الجرح..

وأمدها ببعض المحاليل تعويضًا عن الدم الذي فقدته، كما أنه وجد فصيلتها في المشفى.

جلس معتز على أقرب كرسي وهو يحمد الله على نجاتها، فهو يعلم علم اليقين أن التي تقبع بالداخل هي الحياة بالنسبة لعائلتها وبالأخص مالك النويري.

ألقت برأسها على كتفه ثم تنهدت بارتياح، فالآن اطمأن قلبها على صديقتها، ربت على خصلاتها بحنان ثم غمغم بهدوء: نامي شويه يا حبيبتي وما تقلقيش أنا هافضل صاحي تمام، أومأت بخفة وكأنها كانت تنتظر أن يمنحها الضوء الأخضر لتذهب في سبات.

عودة لقصر النويري..

فتحت عينيها ببطء فوجدت الخادمة تبتسم لها، فانتفضت جالسة تسألها على ابنتها، تنهدت الخادمة بارتياح..

منذ قليل كانت تسير في الممر المؤدي إلى الغرف، فاستمعت إلى صوت ارتطام قوي، فذهبت باتجاه الصوت إذ بها ترى سيدة المنزل تفترش الأرض، دنت منها ثم نثرت بعض العطرعلى يدها وقرَّبته من أنفها، فاستجابت على الفور وفتحت عينيها.

طمأنتها الخادمة على ابنتها؛ إذ قالت: ما تقلقيش يا ست هدى، معتز بيه والست مارلين ودوها المستشفى هما بس ما حبوش يقولوا لحد عشان خاطر ما تتخضوش، وكمان عشان خاطر الشوشرة والفضايح، حضرتك عارفة إن الحفلة كانت مليانة صحفيين، أومأت السيدة هدى بجمود ثم نهضت بآلية شديدة عازمة الذهاب إلى المشفى لتطمئن على ابنتها، حاولت الخادمة منعها، لكنها حذرتها بعينيها فلم تملك إلا أن تطيع ربة عملها.

أما عند مالك ونسرين في شرم الشيخ، بعد أن بدلت ثيابها إلى قميص أبيض شفاف بالكاد يُغطي خصرها، جلست على الفراش، رفعت يدها لتضعها

على وجهه لكي ينظر إليها، رمقها بنظرة خاوية خالية من الحياة، فدنت منه تقبّله بإغراء شـديد، كان لا يشـعر بما تفعله في الأسـاس كأنه إنسـان آلي، تجرأت وأزاحت قميصـه، كان يود أن يدفعها بعيدًا عنه ويركض من أمامها، لكنه تذكر أنها زوجته ولها حقوق عليه فسـمح لها بالتقرب منه، بل وبادلها ما تفعله لكن بدون مشاعر وكأنه يقول لها إن ما يفعله معها ما هو إلا واجب ليس أكثر.

بعد قليل بدأت تفتح عينيها رويدًا رويدًا فوقع بصـرها على الطبيب الذي ابتسم بعذوبة مردفًا بهدوء: ألف حمد لله على السلامة يا آنسة.

غمغمت بخفوت: الله يسلمك، هو ايه اللي حصل؟ ومين اللي جابني هنا؟ كاد أن يخبرها لكن صـوت معتز أوقفه؛ إذ قال: حمد لله على السـلامة يا هنا، كده برده تخضينا عليكي.

كسا الحزن وجهها ولم تعقب، دنت منها مارلين محتضنة إياها بقوة آلمتها وهي تبكي: اخص عليكي يا هنا عايزه تمشي وتسيبيني! ربتت على ظهرها بامتنان، فتلك الفتاة ونعم الصـديقة تكاد تجزم أن لو كان رزقها الله بأخت لم تكن تحبها وتخاف عليها مثل مارلين.

أبعدتها برفق ثم مسحت دموعها بأناملها مردفة بإعياء: ايه يا ولد في ايه؟ ما أنا زي القردة، لحظة شيطان وراحت لحالها.

أخذ معتز يتحدث مع الطبيب ويستفسر عن حالتها؛ فطمأنه بأنها أصبحت بخير، ستظل حتى الصباح وبعدها يمكنها العودة إلى المنزل، وسيرسل لها

ممرضة تغير لها على الجرح، كان على وشك أن يشكر الطبيب، لكن ولوجها من دون استئذان أجفله فتحدث بهدوء مصطنع: أهلًا وسهلًا طنط هدى، حضرتك اتأخرتي كده ليه؟

لم تجِبه بل سلطت نظراتها على تلك الراقدة على الفراش، دنت منها ببطء ثم رفعت يدها وهوت على وجنتها بصفعة قوية أجفلت الجميع.

دوَّى صوت صراخه في المكان كان كالأسد الجريح، فحبيبته كانت منذ قليل تصارع الموت، وكل هذا بسبب ذلك الحقير مالك. كوَّر يده بقوة ثم لكم الجدار عدة لَكَمَات وهو يسحق أسنانه مردفًا بتواعد:

حسابك تقل قوي يا ابن النويري، وحياة كل نقطة دم نزلت منها لأخليك تبكي بدل الدموع دم، هاخليك تتمنى الموت وما تلاقيهوش ده وعد مني ليك.

****

الفصل التاسع

الأم كنز لا يعرف قيمته إلا من فقد الأمومة، شـيء عظيم منحه الله للأنثى؛ لأنها من صفاتها الاهتمام والاحتواء والقلب الحنون. قديمًا كان المصـريون القدامى يقدسـون نهر النيل؛ لأنه كان يمنحهم الحياة ألا وهي الماء.

ما بالك بالتي تحملتك تسـعة أشـهر بداخلها، ثم وضـعتك وربّتك وسهرت بقربك، ثم جعلتك شخصًا فعَّالًا في المجتمع.. فعندما تبكي تذهب إلى حضن أمك، وعندما تفرح تذهب إلى حضـن أمك، وعندما تمرض تجد بقربك أمك، إذًا لو كان شـيئًا أعظم من القداسة لم تكن سوى الأم.

****

دلفت للخارج بعد أن صفعتها، ثم سمحت لعينيها أن تذرف الدموع. فهنا لم تكن مجرد ابنتها فقط، بل كانت كل شـيء لها في الدنيا بعد رحيل زوجها الحبيب الذي تركها منذ ١٨ عامًا، فكانت لها الأم والأب معًا.

لم تصدق أن ابنتها كادت أن تقتل نفسها لولا ستر الله -عز وجل-. كيف لها أن تتركها وترحل؟ كيف تكون أنانية لهذه الدرجة كيف؟

هل كان عشـقها لمالك أكبر من عشـقها لأمها؟ لهذه الدرجة لم تكن شـيئًا بالنسبة لها.

اسـتقلت سـيارة أجرة ثم عادت إلى القصـر عازمة على معاقبتها؛ كي لا تفعل ما فعلته ثانية.

انقضى أسبوع وكان الوضع فيه كالآتي:

تجاهل السيدة هدى لابنتها طوال الوقت..

تعافت من جرحها الذي لم يكن خطيرًا..

مكيدة جديدة تحاك لمالك عند عودته..

تبادل الرسائل بين أمنية وميار على مواقع التواصل الاجتماعي..

وبالطبع لم يخلُ حديثهما من مشـاكسـات ميار التي كانت تهوّن على أمنية ما تشـعر به، فقد وجدت فيها أمنية أختًا صـغيرة خفيفة الظل أو ربما صـديقة مقربة، رغم فارق العمر الذي بينهما إلا أنهما وجدوا في بعضهما أشياء كثيرة، فقد وجدت فيها ميار الأخت الكبرى التي تتحدث معها على سـجيتها بدون خجل أو تكلف.

أما أمنية فقد وجدت فيها ابنتها التي لم تنجبها، كانت بالنسـبة لها شـخصًـا مختلفًا، تركيبة غريبة لم ترَ مثلها من قبل، فهي مزيج بين العقل والجنون، الذكاء والغباء، والخجل ونقيده باختصار كانت مختلفة.

بينما معتز ومارلين فقد تحسـنت علاقتهما كثيرًا فباتا كعاشـقين يتربعان على عرش الحب دون التفكير في المستقبل، بل كانا يعيشـان اللحظة فقط؛ كي لا يعكر صفو هذا الحب.

كان محمود على خلاف مســتمر مع تلك الفتاة التي يتحدث معها، فقد كانت تتدخل في كل شيء يخصه، ومحمود كالطير الحر الشارد لا يحب أن يتدخل أحد في حياته ويشكِّلها كما يشاء، فمن يريد عليه أن يتقبله كما هو.

أما الكاتب الكبير كان قد بدأ بالفعل في كتابة مقدمة روايته الجديدة، والتي كانت تناقش قضـــية مهملة في مجتمعاتنا العربية، كان ما يؤرقه هو اختيار الاسم فهو من أصعب الأشياء التي يواجهها الكاتب في روايته.

وأخيرًا عاد مالك ونسرين من أرض الأحلام، لم يستطع مالك البقاء أكثر من ذلك، فقد تحجج بالعمل رغم اعتراض نســـرين إلا أنها لم تجد بُدًا ســـوى الانصـــياع لطلباته، هي تعلم علم اليقين أنه يتجاوب معها كواجب ليس إلا، لكنها لا يهمها سوى أنها بقربه.

ولج القصر وبداخله اشتياق كبير لساحرته الصغيرة، فوجد السكون يعم المكان أشار لنسرين أن تصعد لغرفتهما حتى يتفقد خالته، وهنا وافقت ثم شرعت للأعلى وهي تتمتم بكلمات غير مفهومة.

توجه على الفور لغرفة هنا لكنه لم يجدها، شـــعر بالغضـــب؛ فالوقت متأخر، كيف لها أن تبقى في الخارج لهذا الوقت؟

اســـتدار دالفًا للخارج وهو يطوي الأرض من تحت قدميه غيظًا من تلك الصغيرة، التي يبدو أنه سيعاني بسببها في الفترة القادمة.

انتهت من قراءة وردها اليومي وأغلقت المصحف، وهي تصدق فاستمعت إلى صوت طرقات عنيفة بعض الشيء على باب غرفتها.

هتفت بانزعاج ســـامحة للطارق بالدخول ولج وعلى وجهه أمارات الغضـــب صائحًا بحدة: هنا فين يا خاله، ازاي سيباها بره لحد دلوقتي؟

فغرت فمها بـدهشـــة بســبب وجوده أمامها، لماذا؟ فهو من المفترض أنه سـيقضـي شـهرًا كاملًا في شـرم الشـيخ، حجاجته بتركيز ولم تجبه، فصـاح بصــوت أعلى: خاله أنا بكلمك، ازاي تســمحي لهنا تفضــل بره لحد دلوقتي؟

انزعجت من صـوته المرتفع ثم تحدثت بحدة: ملكش دعوه بهنا يا مالك، أنت دلوقتي بقيت راجل متجوز، وبنتي أنا المســؤولة عنها من هنا ورايح، يا ريت تخلي بالك من مراتك وما تشغلش روحك ببنتي.

كور يده بغضــب حتى ابيضــت مفاصــله، ثم ظفر كي يســتعيد هدوءه فأولًا وآخرًا هي خالته التي ربته بعد رحيل والدته، تنحنح بإحراج ثم اعتذر بلباقة ودنا منها مقبِّلًا رأســها بهدوء، تعجب من جمودها هذا، لماذا هي هكذا؟ هل حدث شـيء في غيابه؟ كل تلك الأسـئلة دارت في خَلَده، لكن قبل أن يســألها قاطعته بهدوء: هنا انتحرت يا مالك.

أربع كلمات لكنهم كانوا بمثابة أربعة خناجر يمزقون أحشـــاءه بقوة، شـــعر بالضـــياع ثم جلس بجانبها على الفراش ومقلتاه تدوران في كل الاتجاهات، صــدمة بالكارثة التي حلت على رأســه، كاد أن يكون الســبب في موتها، هو لا يعلم أنه قتلها فعلًا. من قال إن القتل فقط بأذية الجســـد؟ بل القتل الحقيقي يكمن في أذية الروح، ســـألها بتلعثم: ازاي؟ أردفت بقوة، ثم راحت تقص عليه ما حدث في تلك الليلة المشؤومة.

في منزل مارلين وبالتحديد في غرفتها استلقت هنا على ظهرها تحدق في سقف الغرفة بصمت ممل، بينما مارلين كانت تتحدث مع معتز في الهاتف، شعرت بالســعادة من أجلها وتمنت لها الخير فطالما كانت تحب معتز، ولكنها كانت تكابر. تذكرت ذلك اليوم المشؤوم الذي تخلى فيه مالك عنها.

عودة لوقت سابق..

جالســة في غرفتها وبداخلها شــعور متناقض، تارة حزينة وتارة ســعيدة، فحزنها كان بســبب ما حدث بينهما أمس وفقدانها عذريتها، أما الســعادة فكانت لأنه سيطلب خطبتها اليوم كما وعدها. تحبه والله، بل تعشقه، لكن تمنت لو كان ما حدث بينهما كان تحت مظلة الشرع. نفضت تلك الأفكار ثم راحت تفكر في الجانب الإيجابي، اســتقامت واقفة وارتدت ثوبًا أنيقًا ثم مشــطت شــعرها، ودلفت للخارج قاصــدة غرفته، ولجت بعد أن أذن لها بالدخول، وجدته جالسًــا فوق الفراش واضــعًا وجهه بين كفيه يبدو عليه الحزن الشــديد دنت منه بغتة وعانقته بقوة، لكنها أجفلت على دفعه لها بعنف أدى إلى سقوطها فوق الأرضية الصلبة، تلألأت الدموع في مقلتيها من عنفه معها فسألته بحذر: مالك في ايه؟

الصمت كان الرد على سؤالها. استقامت واقفة ثم وقفت قبالته جاذبة يده ليقف أمامها، وتشدقت بغصة: ايه اللي حصل؟

خرج صوته مهزوزًا لكنه حاسم، إحنا مش هينفع نتجوز يا هنا.

هوى قلبها بين قدميها، ماذا يقول؟ هل قال بأنه سـيتخلى عنها؟ لا، يبدو أنها مجرد تهيؤات نـادتـه برجـاء واهٍ: مـالـك، أرجوك فهمني. مـالـك صـرخ بقوة أقفلتهـا: مفيش، قلـت لـك مش هينفع نتجوز، إيـه تحبي أغنيهـالـك عشـان تفهمي.

جحظت عيناها من هول الصدمة وكأنه قتلها بالبطيء، دموع كثيرة انسكبت فوق وجنتيها بصوت شهقاتها ملأ المكان، راحت تهزه بهستيرية أكيد أنت بتهزر صح، لا مش حقيقي، أنت بتحبني ومش ممكن تتخلى عني صح؟ قل لي صح، أخذت تحرك رأسـها يمينًا ويسـارًا ويهتز جسـدها رغمًا عنها، شـعر بالقلق حيالها لكن ما باليد حيلة، لو بقي أكثر من ذلك سـيرمي بكل ما عرفه عرض الحائط، وسيعانقها عناقًا شديدًا حتى يستمع لصوت طقطقة عظامها، لم يجد أمامه سوى الفرار من هذا المكان قبل أن يضعف أمام دموعها.

ركض للخـارج في خطوات واسـعة ثم طلـب من خـالتـه أن تـذهـب إلى هنـا وتهديها، ريثما اسـتفاقت من شـرودها على صـوت مارلين القلق: ايه الدموع دي يا هنا؟

رفعت يدها وأزالت دموعها بعنف ثم اسـتقامت واقفة تعدل من هندامها، مردفة: أنا هروح بقى عشان الوقت اتأخر.

متباتي هنا النهرده يا بنتي، مفيش غيري أنا وأنتِي وماما بابا ومينا راحوا يزوروا ناس قرايبنا في المنصورة.

انحنت ترتدي حذاءها هاتفة برفض: مش هينفع يا مارلين، مش عايزة أعمل مشـــاكل تانية مع ماما، كفايا إنها مبتكلمنيش من بعد ما خرجت من المستشفى.

أومأت لها بالموافقة، ثم هبت واقفة لتدلف معها للخارج كي تطمئن عليها حتى تركب سيارتها.

في منزل أمجد..

جلســـوا يحتســـون القهوة ويتســـامرون في مجالات مختلفة، هتف أمجد بجدية: تصـــوروا يا جماعة واحد صـــاحبي بيقولي إنه هيودي والدته دار مسنين عشان مراته مش طيقاها في البيت.

سألته أمنية باهتمام: طيب معندهاش أولاد تروح عندهم غير ده.

هز رأسه نافيًا:

حسبي الله ونعم الوكيل.

بقى الست تكبر وتربي وتيجي واحدة عرفها من كام سنة تطرد أمه من بيته.

تلك الكلمات قالتها السيدة إلهام التي شعرت بالتعاطف مع تلك المرأة.

كسى الحزن ملامح زياد الذي صمت منذ أن تطرقوا لهذا الموضوع؛ إذ أردف أخيرًا: بكرة يندم لما يصحى في يوم ميلاقيهاش، ساعتها هيتمنى لو الزمن بس يرجع ورا عشان يترمي في حضنها لو دقيقة واحدة.

ربت أمجد على كتفه بمواساة..

ولمعت الدموع في مقلتي أمنية..

بينما السيدة إلهام استقامت واقفة ثم دنت منه جالسة بقربه وضمت رأسه لصـــدرها مغمغمة بحنو بالغ: ربنا يرحم والدتك يا حبيبي، أكيد لو كانت موجودة كانت هتكون فخورة عشان عندها راجل زيك.

أبعدت رأسه بهدوء، واسترسلت حديثها:

وبعدين هو أنا مش زي ماما برضو!

أومأ بسرعة:

ربنا يعلم إن معزتك عندي زي معزة أمجد وأمنية.

لاحظوا شرود أمجد، فهتفت أمنية بفضول:

أمجد رحت فين؟

أجاب بتفكير: هما مش بيقولوا تروح دار مســـنين أحســـن ما تتهان في بيتها، أرحم وأكرم ليها.

أنا بقى شايف إن ده اسمه جحود، جحود تحت مظلة الرحمة.

رددوا الكلمات خلفه، فتحدثت أمنية بانبهار:

الله حلو أوي التعبير ده يا أمجد.

أيَّد الجميع حديثها..

فهتف أمجد بجدية:

دا مش تشبيه، ده هيكون اسم روايتي الجاية -إن شاء الله-.

أما عن ميار، فقد انتهت للتو من رسمتها، التي ظلت عاكفة عليها لفترة طويلة، رفعت اللوحة أمام عينيها، ثم تمتمت بانبهار: "الله عليكي يا بنت يا ميار، كأنه هو بالضبط".

احتضنت اللوحة ثم راحت تدور بها حول نفسها، وكأنها فراشة تحلق بين الأزهار.

تنهدت وهي تحلم، ثم أخذت تفكر في المكان الذي ستضع فيه اللوحة دون أن يراها أحد من عائلتها ويوبخها، جفلت على صوت طرقات على بابها، فسرعان ما أخفت اللوحة أسفل فراشها، ثم تنحنحت وأذنت للطارق بالدخول، ما كانت هذه سوى والدتها التي شعرت بريبة حيال ابنتها؛ فهي ليست عادتها أن تغلق بابها عليها، دنت منها تتفحصها وتتفرج على ملامحها هاتفة "بتعملي إي يا بنت يا ميار، وقافلة بابك عليكِي ليه؟"!

أجابتها بتلعثم "أبدًا يا حاجة ده أنا كنت بذاكر"!

"امممم... بتذاكري؟! طيب ماشي يا ميار، عمومًا أنا مش هاقبل بأقل من مجموع يدخلك يا إما هندسة زي معتز، أو صيدلة زي محمود".

صاحت برفض: "بس أنا يا ماما ما بحبش الهندسة ولا الطب، أنا نفسي أدخل فنون جميلة، وأبقا رسامة زي بيكاسو كده يا ماما".

جذبت يدها لتُجلسها على الفراش، ثم جلست بمحاذاتها وأردفت بحالمية "تخيلي يا ست الكل، لو بنتك تبقا مشهورة، ولوحاتها مالية الدنيا ويقولوا أم الفنانة راحت... أم الفنانة جات.

تخيلي كده وأنتِي بقا يا ماما تقعدي تتفشخري كده وسط أصحابك، زي ما طنط إلهام بتعمل لما بتيجي سيرة أمجد".

راحت والدتها تفكر بجدية في حديثها، ثم ضربت رأسها بخفة: "ماشي يا ميار بس بشرط...".

سألتها بلهفة ظهرت جليًا على ملامح وجهها: "شرط أي ده يا ست الكل"؟!

"ما تقوليش طلب قولي أمر".

أجابتها بابتسامة: "ترسمي لي صورة كبيرة أنا وأبوكِي الله يرحمه؛ عشان أحطها في أوضتي، ولو حسيت إن الصورة فيها غلطة واحدة هاعتبر موافقتي ملغية".

قفزت من مكانها، ثم صفقت بحماس وألقت بجسدها فوق جسد أمها مما أدى إلى تراجعها فوق الفراش، وهي تعتليها فصاحت بألم "اوعي كده... جبتيلي غضروف يا بنت الجزمة".

قهقهت ميار ثم راحت تقبّل كل إنش في وجهها، وهي تتمتم بعبارات الشكر والحب لوالدتها التي كانت نعم الأم...

فطالما حرصت على أن تكون سندًا لها ولأخوتها، طوال العشر سنوات الماضية...

هكذا هي الأم دائمًا وأبدًا، تبحث عن الشيء الذي يُسعد أبناءها حتى ولو كان ضد إرادتهن، فلن تجد شخصًا يتمنى أن تكون أفضل منه سوى أمك.

فالأم هي التي تعري نفسها كي تكون أنت مستورًا، تُفضّل أن تنام جائعة كي تكون أنت شبعان.

باختصار، الأم هي الوحيدة التي تمتلك صفة الإيثار، تؤثرك على نفسها؛ كي تبقا أنت قرير العين، مرتاح البال، هكذا هي الأم.

يقف في شرفة غرفته ينفث سيجارته بشراهة، لم يكن "مالك" هكذا، فطالما كان يكره رائحة الدخان...

وبعد القليل من الوقت رأى سيارتها تدخل من باب القصر، أطفأ سيجارته في المنفضة الكريستال، ثم دلف للخارج كي يضع لها حدًّا، شرعت في صعود الدرج لكن أوقفها صوته الحاد نوعًا ما:

"ممكن أعرف الهانم كانت فين لحد دلوقتي"؟

رفعت وجهها إليه ثم أجابته بفظاظة... رغم صدمتها من وجوده أمامها بعد أسبوع من ذهابه إلى شرم الشيخ!

"والله ما يخصكش أنا كنت فين، يا ريت تشيلني من دماغك، من هنا ورايح محدش يحق له يسألني ولا يحاسبني غير ماما هدى وبس، أما أنت يا ريت تخليك في مراتك، فهمتني يا ابن عمي؟".

قابل حديثها بالصمت، لكنها تقسم إنها رأت الجحيم في عينيه... فقد نفرت عروقه بشكل مخيف مما جعلها تخفض بصرها أرضًا من شدة الخوف، لكنها سرعان ما استعادت رباطة جأشها؛ إذ رفعت رأسها إلى الأعلى بكبرياء،

ثم صــعدت الدرج؛ عـازمة التوجه إلى غرفتها، لكنها حينما مرت من جانبه أطلقت شـهقة متالمة؛ إذ قبض على عضــدها بقوة هاتفًا من بين أســنانه..

"كنتِ بتقولي إي بقا؟".

أجابته بثبات رغم الخوف الذي يعتليها:

"اللي سمعته يا ابن عمي".

ضـغط أكثر على يدها، فصـرخت بقوة، ما جعل والدتها تأتي مسـرعة هادرة بعنف:

"ســيب إديها يا مالك، ولآخر مرة هقولها، ما تتدخلش في أي حاجة تخصــها بعد النهاردة، وإلا هانسى إنك ابن أختي الله يرحمها... أنا مش هستنى لما بنتي تموت بسببك، لحد كده وكفاية أنت دلوقتي بقيت راجل متجوز، فهمتني؟".

ترك يدها ثم استدار؛ ليصبح في مواجهة خالته سائلًا إياها بسخرية طفيفة:

"ولو ما نفذتش اللي حضرتك قلتِي عليه؟ إي هتضربيني مثلًا"؟!

تجاهلت سخريته، وأردفت بجدية خالصة: "لا يا ابن أختي، بس من النهاردة أنا وبنتي ملناش مكان هنا...

ومن بكرا هدور على بيت تاني نقعد فيه أنا وبنتي".

ركضت باتجاه والدتها وألقت بنفسها داخل أحضانها..

أما عنه فقد شـعر بأن عالمه ينهار، لم يجد نفســه إلا والأرض تميد من تحت قدمه...

بينما في الأعلى، تشـكلت ابتسـامة خبيثة على شـفتيها، فاسـتدارت عائدة إلى غرفتها ملتقطة هاتفها، ثم بحث عن رقمه، وضــغطت زر الاتصـــال فأتاها رده بلهفة...

عبثت بخصـلات شـعرها القصـير، فتحدثت بسـعادة انعكسـت على وجهها الجميل:

"ومامتها هيسيبوا قصر النويري".

****

الفصل العاشر

الكلمة..

ما هي إلا ستة أحرف لكنها تعني الكثير، والكثير...

فما الرجل سوى كلمة..

تدخل الجنة بكلمة..

وتزج في النار بكلمة..

تكسب قلب الأنثى بكلمة..

وتكسر قلبها أيضًا بكلمة..

إذًا، فالكلمة ليســـت مجرد عدة أحرف، بل إنها تُشــكّل فارقا كبيرًا في حياتنا..

لذا عليك يا عزيزي أن تحضـر، وتدرك معنى كل حرف تتفوه به لأنك ستُسأل عنه في آخرتك قبل دنياك.

****

رنا الصمت بينهم قليلًا حتى قطعه مالك الذي هتف بمهادنة:

"حاضر يا خالة هعمل اللي حضرتك عايزاه، ومن النهاردة ما ليش دعوة بهنا نهائيًا، البيت ده بيتك قبل ما يكون بيتي، لو اضطر الأمر يبقا أنا اللي همشي مش حضرتك ولا هنا".

ألقى كلماته دفعة واحدة وانصرف من أمامهما..

أما عن هنا، فقد عانقت والدتها بقوة مرة أخرى، وهي تتمتم لها ببعض عبارات الأسف التي سرعان ما أذابت الجليد بينهما.

في صباح اليوم التالي..

ذهبت مارلين كعادتها إلى الكنيسة؛ تؤدي طقوسها اليومية، وبعدها انطلقت إلى الجامعة، بعد أن هاتفت هنا التي أخبرتها بأنها ستلحق بها هناك.

في قصر النويري..

اجتمعوا على طاولة الإفطار، ما عدا نسرين التي تعمدت التأخير؛ كي تُثبت للجميع بأنها أصبحت سيدة هذا القصر.

ثواني وولجت غرفة الطعام بغرور مبالغ فيه، ثم جلست فوق الكرسي المجاور لمالك، ألقت تحية الصباح ببرود شديد، ثم شرعت في تناول فطورها، وهي ترمق هنا باستفزاز شديد، لاحظته والدتها التي دنت من أذنها هامسة:

"سيبك منها ما تعبريهاش، اللي زي دي التجاهل لها هيفرسها أكثر من لما تردي عليها".

أومأت لها بتفهم، ثم راحت تأكل بشهية؛ وكأنها توصل رسالة لمالك، بأنها تخطته، وستبدأ من جديد بدونه.

أنهت طعامها، ثم نهضت مقبلة وجه أمها وأردفت بعجالة:

هروح على الجامعة بقا يا ماما؛ عشان أنا اتأخرت.

أومأت لها بالموافقة، ثم راحت تدعو لها براحة البال، والصحة والستر.

تابعها بعينيه حتى اختفت، وبداخله ألم شـــديد؛ فقبل عامين كانت حياتهم سـعيدة، لا يشـوبها شـائبة، لكن بعد تلك المصيبة انقلبت حياتهم رأسًـا على عقب، يا لسخرية القدر، صدق من قال: يوم لك ويوم عليك.

بينما في منزل أمجد، كانوا يتناولون الإفطار في صمت، قطعه صـوت رسـالة صـــدح من هـاتف أمنيـة، التي التقطتـه على الفور، فوجـدتها مرســلـة من تطبيق الواتساب، فتحتها على الفور وسرعان ما ابتسمت عندما رأت كلمات تلك المجنونة التي كتبت:

صباح العسل يا قشطة.

راحت تكتب لها:

صباح الفل يا حبيبتي.

سألتها باهتمام:

القشطة أخوكِ عامل ايه؟

أرسلت لها وجهًا مبتسمًا..

ثم كتبت:

آه وقاعد جنبي، تحبي أصبح لك عليه؟

كتبت بسرعة مهولة:

لاااااااا طبعًا، أنا بطمن بس، بقولك إي، ما تصــوريه كده من غير ما ياخد باله؟

ولو سألني بصوره ليه؟ أقول له عشان ميار عايزة الصورة؟

أرسلت لها وجهًا يبكي، ثم كتبت: خلاص ما تعمليش حاجة، طيب طنط إلهام عاملة إي؟

وقبل أن تجيب، أوقفها سؤال والدتها:

بتكلمي مين يا أمنية، وسايبة الفطار؟

أجابتها بابتسامة:

بكلم المجنونة ميار.

ابتسمت والدتها تلقائيًّا عندما ذكر اسم تلك الفتاة، فأردفت:

سلميلي عليها كثير، وخليها تيجي تتغدا معانا يوم، بجد أنا حبيتها أوي.

وأنا كمان والله يا ماما، تصوري بقيت أحب أتكلم معها جدًّا، وكأني أعرفها من زمان، مش من أسبوع بس.

سألهما بدهشة مصطنعة:

مين ميار دي اللي كلكم حبيتوها؟ ما تعرفوني عليها يمكن أحبها أنا كمان!

أجابته بابتسامة:

ميار دي تبقا أخت معتز الشامي -صاحبك- بنت عسولة أوي يا أمجد، وبالمناسبة هي بتحب رواياتك جدًّا، ومتابعاك على السوشيال ميديا.

أومأ بعدم اكتراث، ثم شرع في تناول فطوره.

أما أمنية فراحت تكتب لميار ما حدث، وسؤال أمجد عنها، مما جعلها تبتسم في سعادة، وبلغتها رسالة والدتها، بأنها تريد دعوتها للغداء عندهم.

سألتها ميار بلهفة: والقشطة هو بقا موجود؟ ولا أسُك على العزومة؟

أجابتها:

والله مش عارفة، بس أوعدك إني أحاول أخليه يبقا موجود.

أرسلت لها: أعجبني.

ثم استأذنتها؛ لتكمل مذاكرتها؛ لأنه بقي أسبوع وستبدأ امتحانات الثانوية.

وقفت تقضم أظافرها بتوتر ملحوظ، ثم راحت تبحث بعينيها عنه، حتى وجدته أخيرًا قادمًا باتجاهها، منحها ابتسامة عذبة، ثم تشدق بغزل صريح:

إيه الجمال ده يا بنت يا منة، يخرب بيت حلاوة أمك، أنتِي بتكبري وبتحلوي؟

أخفضت بصرها أرضًا بخجل مصطنع، ثم رفعت مقلتيها إليه مردفة بنعومة:

اتأخرت كده ليه يا محمود؟ بقالي ساعة واقفة مستنياك، كنت قاعدة أتلفت حواليا زي المجنونة، ده أنا خفت حد من أخواتي يشوفني...

قاطعها بسرعة:

معلش يا روحي، والله ما صدقت البنت اللي بتشتغل معايا في الصيدلية جت وسبتهلها وجيت..

زفرت بقلة حيلة، ثم سحبت يده وولجت إلى المطعم؛ كي يتناولا الفطور سويًا.

صاح بحدة:

يعني ايييييييه مش هيسيبوا القصر! هو مش أنت قلتلي...

قاطعته بحدة مماثلة:

قلتلك مالك ما رضـيش يخليهم يمشـوا، أعمل إي؟ صـدقني، أنا عايزاهم يمشوا النهاردة قبل بكرا.

بعدما انتهت من أداء فريضة العشاء، التي أخرتها اليوم؛ بسبب ذلك الحفل، خلعت إسدال الصلاة، ثم أمسكت بمصحفها الصغير، وراحت تقرأ وردها بصوت عذب.

شـعرت بأحدهم يفتح الباب، لكنها لم ترفع عينيها عن المصـحف، وراحت تكمل قراءتها بتركيز وخشـوع، مما جعل والدتها تبتسـم بفخر، على تلك الفتاة التي أنجبتها، وربتها أحسن تربية.

لم ترد مقاطعتها، فجلسـت فوق فراشـها تنتظرها ريثما تنتهي، دقائق وأبصرتها تغلق المصحف، ثم تتجه حيث تجلس، وجاورتها بابتسامة مشرقة: إي يا ست الكل! ما نمتيش ليه لحد دلوقتي؟

مسـدت فوق خصـلاتها، ثم أجابتها بهدوء: ما فيش يا قلب أمك، أنا بس حبيت أتكلم معاكِي في موضوع مهم.

رمقتها باهتمام، فاسـترسـلت حديثها: بصـي يا بنتي، طنط إلهام عايزاكي تروحيلها بكرا الصبح تفطري معاهم وما تسأليش ليه؟

ابتسـمت بنعومة، ثم رمشـت بأهدابها مردفة: طيب لو قلتلك عشـان خاطر ميار؟

هزت رأسها نفيًا، ثم هبت واقفة عازمة على الخروج.

فباغتتها ميار عندما تشبثت بيدها لتجلسها مرة أخرى.

زفرت باستسلام، ثم راحت تقص عليها ما حدث من السيدة إلهام، بخصوص أنها تريد عزومتها على الفطور، فقط غفلت عن الموضوع الأساسي الذي تريدها به.

تحدثت ميار بعدم تصديق: لا يا راجل! هو اللي حضرتك بتعيديه بتزيديه؟ طب ما أنتِ قلتيلي كده من شوية، وأنا اللي فكرتك هتقوليلي إن براد بيت هيطلب إيدي ولا حاجة.

ضربت رأسها بخفة: وهو لو براد بيت هيطلبك يا بت الهبلة، هتروحي أنتِ عندهم؟ ده أنا هخليهم يجولك كلهم هنا، من أول الست إلهام، لحد براد بيت بتاعك، وأمنية، هو أنتِ شوية يا بت؟

ألقت بجسدها بين أحضان والدتها، التي استقبلتها بحنو شديد، ثواني وابتعدت عنها: أيوة توّهي بقا عن الموضوع الأساسي.

لا هتوّه، ولا غيره، اللي عندي قلتهولك.

قالت كلماتها وهي تنهض وتدلف للخارج، صافقة الباب خلفها بهدوء.

أمسكت ميار بهاتفها؛ لتحادث أمنية؛ كي تستفهم منها ما يحدث.

لكن خاب أملها؛ عندما استمعت إلى أن الهاتف غير متاح، زفرت باستسلام، ثم تدثرت بمضجعها جيدًا، فهي رغم حرارة الجو، فهي لا تستطيع النوم بدون غطاء؛ لذلك فهي تتدثر بدثار خفيف في فصل الصيف.

راح يدور حول نفسه كالأسد في عرينه ثم تشدق بوعيد:

مالك ده جاب آخره معايا، دلوقتي بقا أنا هغير قانون اللعبة، هخليه يلف حوالين نفسه، يشك في أقرب الناس له.

هتفت بخوف:

لا بقول لك إي، طلعني أنا من الحوار ده، أنا ما صـــدقت أنه تجوزني، أنا أصلًا قبلت أساعدك؛ عشان أخليه يتجوزني...

قاطعها بنفاد صبر:

ما تخافيش يا غبية، أنتِ أصلًا ما تعرفيش حاجة عن ماضيه، عشان كده أنتِ هتبقي برا الليلة، فهمتي؟

جلست فوق الفراش ثم سألته بتوجس:

طيب فهمني ناوي تعمل إي؟

ضحك بصوته كله، ثم أردف بفحيح:

اسمعي يا ستي...

أخذت تســتمع إليه، وعيناها تتســعان رويدًا رويدًا، كلما توغل في الحديث، ولسان حالها يقسم بأن هذا الرجل شيطان متجسد في هيئة بني آدم.

في منتصف النهار..

دلفت للخارج وهي تشعر بألم شديد في رأسها..

فتحت حقيبتها والتقطت أحد الأقراص التي تســتخدمها عادة للتخلص من ألم رأسها، وضعتها في فمها ثم ارتشفت القليل من الماء.

سمعت صوت رنين هاتفها، فالتقطته من حقيبتها، فوجدت اسم مارلين يضيء الشاشة، أجابتها على الفور:

إي يا بنتي فينك كل ده؟

سمعت صوتها على الطرف الآخر، وهي تقول:

أنا جبت الملازم اللي هنحتاجها، وما لقتكيش أنتِي فين؟

أجابتها باختصار: واقفة قدام عربيتي، تعالي بسرعة، أغلقت الهاتف، ثم شرعت في ولوج سيارتها لكنها شهقت بقوة؛ عندما أبصرت علبة كبيرة من الشيكولاتة بجانبها، ومظروفًا مغلفًا.

التقطت المظروف ثم فتحته، فوجدت رسالة ومجموعة من صورها وهي صغيرة، التقطت الرسالة، ثم شرعت في قراءتها:

حبيبتي "هنا".

أحبك فوق حب المحبين حبًّا..

أعلم أن قلبك متعلق بمالك، لكن صدقيني يا صغيرتي، في القريب العاجل سيكون قلبك لي وحدي.

راحت تقرأ الرسالة مرارًا وتكرارًا، علها تتعرف على هوية كاتب هذه الرسالة، لكن دون جدوى.

شعرت بباب السيارة يُفتح، فإذا بها مارلين.

كادت تجلس، لكنها أبصــرت تلك العلبة المغلَّفة فشـــهقت بقوة، ثم رفعتها وجلست محتضنة إياها بسعادة سائلة بشقاوة:

مين اللي جايب لك شـــيكولاتة؟ ما يكونش الولد هاني اللي عينه عليكي من السـنة اللي فاتت وأنتِي مش معبراه؟ اسـتني، ولا يكونش عمر الولد السـيس ده اللي معانا في الدفعة؟

ولا يكونش...

قاطعتها بضجر: هششششش، إي افصلي شوية، ما فيش حد من اللي إنتِي قلتِي عليهم دول، ده أنا بفتح العربية ولسـا هركب شـفتهم على الكرسـي، اللي إنتِي قاعدة عليه ده، أدارت محرك السـيارة، ثم ناولتها الرسـالة، واسـترسـلت في حديثها:

ولقيت معاهم دي.

أخذت تقرأ الرسالة، وعلى ملامحها ترتسم ابتسامة بلهاء، ثم تنهدت بهيام.

مردفة بمداعبة:

سيدي يا سيدي، ده شكله واقع على الآخر، والله صعب عليا.

رمت الصور بتعجب، ثم تحولت نبرتها إلى الجدية، مسترسلة حديثها بوجل:

بس ازاي جاب صورك دي؟ وازاي عرف بعلاقتك أنتِي ومالك؟ غريبة دي!

أجابتها بهدوء: ما أعرفش، ما هو ده اللي هيجنني.

انطلقت بالسيارة وهي تفكر في تلك الرسالة، ومن يكون ذلك العاشق المريب!

مر أسبوع لم يحدث فيه أي جديد..

فاليوم هو بداية امتحانات الثانوية، ارتدت حجابها، ثم انحنت لتنتعل حذاءها، فوجدت والدتها تقف أمامها بكيس بلاستيكي ممتلئ ببعض الشطائر، مردفة في حنان:

خدي يا يويو الساندوتشات دي، وكلي إنتِي والبنت حياة، لاحسن يا عين أمها آخر مرة شفتها فيها كانت خاسة خالص.

استقامت واقفة، والتقطت الكيس من يدها، ثم هتفت بمشاكسة: إي كل ده يا حاجة؟ هو أنا هعزم المدرسة كلها ولا إي؟ عمومًا حلوين؛ عشان لو حد قاعد جنبي شاطر أديله منهم، عشان يغششني.

ضربت رأسها بخفة، ثم تحدثت بجدية:

يا أختي أنا أعرف أن البنات بتوع الثانوية العامة يبقوا رايحين الامتحان وركبهم بتخبط في بعضها من الخوف، إلا إنتِي قايمة بتضحكي وتهزري، ولا كأنك رايحة الملاهي.

رفعت يدها، ثم وضعتها في وجه أمها هاتفة بمزاح:

خمسة في عينك يا حاجة، أنتِي هتحسديني ولا إي؟ وبعدين، نحن نختلف عن الآخرين.

ابتسمت بعذوبة، ثم دنت منها محتضنة إياها:

ربنا يوفقك يا ضنايا، وييسر لك الصعب...

إنتِي واللي زيك يا رب، قولي آمين.

أبعدتها بقوة، ما قلتيش آمين ليه يا بنت؟

قلت وربنا بس في سري، يلا سلام عليكم يا حاجة.

فتحت باب المنزل ثم قذفت لها قبلة في الهواء، وانطلقت في طريقها، وقلبها يقرع كالطبول..

فهي كانت تشعر بالخوف، لكنها من الأشخاص الذين يخفون توترهم وخوفهم خلف مزاحهم.

يجلس في مكتبه وهو يشعر بالقلق الشديد، فهذا اليوم هو أول يوم امتحانات لِـ هنا، فطالما كان قربها في هذا اليوم، كان يطمئنها ويراجع لها كل مادة قبل كل امتحان.

لكن الآن أصبح هذا الشيء ليس من حقه.

شعر بوخزة قوية في قلبه؛ فهو يعلم علم اليقين أنها تكون مرتبكة في هذه الأيام..

زفر بقلة حيلة، ثم أراح ظهره على كرسيه الجلدي، وأسند رأسه عليه..

تذكر آخر يوم لها في الثانوية العامة، عندما كان يراجع لها مادة الكيمياء.

عودة لوقت سابق..

جلس في السيارة وهي بجانبه، يسألها وهي تجيب، كان كلما أجابت سؤالًا صحيحًا، يزرع قبلة فوق وجنتها

أما إذا أخطأت تعطيه هي تلك القبلة.

كانت تجيب بتركيز؛ كي لا تخسر أمامه، فهذا الماكر يستمتع بخجلها كلما أجابت خطأً.

بعد وقت ليس بالقليل أنهى معها كل الملزمة، ثم دنا منها بغتة هاتفًا بمكر:

ودلوقت بقا استحق المكافأة؟

وقبل أن تسأله..

كان يلتقط شفتيها في قبلة عاصفة، يضع بها كل عشقه لها.

استفاق من شروده بها على صوت طرقات فوق الباب، يليها دخول معتز والسكرتير الخاص به، الذي هتف بعملية:

مالك بيه، الظرف ده جه لحضرتك، وطلب مني ما يتسلمش غير لحضرتك.

التقطه من يده، ثم أذن له بالانصراف، ثم فتح المظروف بهدوء، لكن سرعان ما احتضنت جهنم عينيه، وغلا الدم في عروقه، حتى كاد أن يسمع صوت غليانه، ألقى الصور على المكتب، ثم صرخ بحدة:

يا ولاااااد الكلب.

أزاح كل ما فوق المكتب أرضًا، وراح يصرخ بهستيريا:

ليييييه أنتم عايزيين

مني إيييييه.. حيوانات!

حاول معتز تهدئته بشتى الطرق، لكن دون جدوى، فانحنى أرضًا ملتقطًا إحدى الصور التي أوصلت رفيق دربه إلى تلك الحالة!

جحظت عيناه في دهشة مما رأى، فقد كانت تلك الصور لوالدة مالك الراحلة مع عمه في أوضاع مخلة، أمسك رأسه بقوة، ثم اقترب من صديقه

الذي جلس أرضًا، ويبدو على وجهه الشحوب والإعياء، احتضنه بقوة، ثم هتف بمهاودة:

قوم يا مالك، خلينا نشوف مين اللي باعت الصور دي؟

استقام واقفًا، ثم تحدث بغضب عارم:

أقسم بالله هاجيبه وهاسففه التراب، هاخليه يندم على الساعة اللي اتولد فيها وفكر أنه يتذاكى عليا ويهددني، هرع للخارج يتبعه معتز، وهو يطوي الأرض من تحت قدميه من شدة الغضب، فبداخله يتوعد لكل شخص أذاه، وتجرأ على إهانة والدته الراحلة.

****

الفصل الحادي عشر

الكرامة

هي عنوان الشخص وهويته..

فمن يحيا بلا كرامة يحيا بلا هوية.

يقال: أن لا كرامة في الحب..

كاذب ومدعٍ من تفوه بتلك الكلمات، فما الحب سوى كرامة..

فالكرامة جاءت من التكريم..

لكن أي تكريم يكون بإذلال النفس وخضوعها؟!

فكرامة الرجل من كرامة المرأة، بمعنى:

أنك عندما تهين المرأة، فأنت تهين نفسك، أعني بحديثي: إن كانت هذه المرأة تخصك، سواء أكان من قريب أو من بعيد

فالعلاقات السليمة تُبنى على الاحترام والتقدير..

فإن فقدت العلاقة إحدى الصفتين، تصبح هشة ضعيفة، تنهار من أقل مشـــكلة، فالطائر الذي يحلق في الســـماء إذا فقد أحد جناحيه، لا يستطيع الطيران..

هكذا هي العلاقة بدون احترام وتفاهم.

فالرجل في مجتمعنا الشرقي يعامل المرأة كجارية..

فيحق له أن يفعل ما يحلو له، تحت مســـمى الذكورة، يخطئ

لكن هي لا.

يرفع يده عليها بحجة الترويض..

يهينها على أتفه الأشياء..

يحرمها من تحقيق ذاتها..

لذا فعندما تختارين زوجًا، عليك بالآتي:

اختاري رجلًا حقيقيًا، يعاونك في كل شيء..

يشاركك حلمك..

يساندك في طموحك..

يســتمع إلى تفاصــيل يومك باهتمام، حتى وإن كانت تافهة بالنسبة له..

يكون ظهرك وسندك عند اللزوم..

باختصار، اختاري رجلًا يضعكِ تاجًا فوق رأسه..

لا حذاء في قدميه.

****

لم يعثر على أي شـيء في كاميرات المراقبة، فقد كان الشـخص الذي أحضـر المظروف ملثمًا لا يظهر منه ســوى عينيه، حتى الدراجة النارية التي كانت بحوزته بلا أرقام، وكأن ذلك الشخص الذي أرسله يعرف ما يفعل جيدًا.

راح يدور حول نفســه كالليث الجريح، وهو يكاد يُجن، في أي كارثة هذه التي وقعت فوق رأسه؟ ألا يكفيه ما به؟

زمجر بقوة ثم ألقى بجســـده فوق الأريكـة الجلـديـة المتواجـدة في مكتبـه، وبداخله نيران مســتعرة، فهم يخوضــون في شــرفه وشــرف والدته المتوفاة، حتى إن كان هذا الشيء حقيقيًّا، فليس يحق لأحد أن يعرفه.

فتلك الحقيقة لا يعرفها ســوى والده الراحل، وصـــديقه الدكتور ممدوح، وهذا الرجل مصـــدر ثقة للعائلة، فطالما كان عونًا لوالـده، وعونًا لـه بعد وفاته، كاد عقله أن ينفجر، فتلك الصور كارثة بكل المقاييس، وإذا نُشرت في الصحف سيصبحون على كل لسان، وستنهار تلك العائلة المرموقة، والأكثر من ذلك ستصبح سمعة والدته الراحلة على كل لسان.

يا الله، ماذا يفعل؟ فكل الطرق مسدودة أمامه.

مالك ممكن تهدأ شـوية، وتفهمني مين له مصلحة في حاجة زي دي أنها تظهر بعد ما فات عليها أكثر من سـنة؟ وبعدين أنت مش قلت لي إن الصـور دي ما فيش منها نسخة ثانية؟ وإنك حرقتهم بإيدك بعد ما والدك ورهوملك؟

أومأ بهدوء..

فاسترسل معتز في حديثه:

يبقـا لازم تفكر مين لـه مصـــلحـة إن الصـــور دي تظهر، ومنين جـابهـا من الأساس؟

مش عـارف، مـا هو ده اللي هيجنني، صـــدقني يـا معتز أنـا تعبت، بـابـا مـات وسابلي حمل ثقيل جدًّا وحقيقة ما يتحملهاش جبل

ربت على كتفه بمؤازرة، ثم أردف بجدية:

يبقا احنا ما قدامناش غير حل واحد...

رمقه بلهفة؛ ليستحثه على الحديث..

أننا نستنا الخطوة الثانية اللي هيعملها الحقير ده، أكيد هو له شروط، وعايز حاجة معينة.

أومأ متفهمًا، فيبدو أن هذا الحل هو الأمثل حاليًّا، لكن هناك شيء عليه فعله كي يستريح.

بعد أن أنهت امتحانها، دلفت للخارج بصحبة ابنة خالتها، فأبصرتها تقف أمام سيارتها وكأنها تنتظرها، هرولت باتجاهها، وتبعتها حياة بخطوات واسعة؛ كي تلحق بها.

وقفت أمامها، ثم احتضنتها بقوة وهي تثرثر كعادتها:

إي المفاجأة الحلوة دي يا عسل، والله فرحتي بيكي النهاردة أكبر من فرحتي أني خلصت الامتحان الزفت ده.

منحتها ابتسامة مشرقة، ثم سألتها بجدية:

عملتي أي في الامتحان يا ميار؟

أجابتها وهي تعبر بيديها: ده أنا حليت كله، ما سبتش أي حاجة، حليت حتى الأسئلة الاختيارية، آه والله! حتى اسألي حياة، مش كده يا حياة؟

أومأت حياة، ثم تقدمت إليهما، فتولت ميار تعريفهما على بعضهما؛ إذ أردفت:

حياة، بنت خالتي حاجة كده كيوت خالص شبهك، يعني مختلفة عني تمامًا.

مدت يدها؛ لتصافحها وهي تبتسم لها:

فرصة سعيدة يا حياة.

بادلتها الابتسام.

أنا أسعد يا أمنية، عرفتك من كتر كلام ميار عنك.

أشارت لهما؛ ليصعدا السيارة:

طيب اتفضلوا اركبوا عشان أوصلكم وبعدين أروح.

سألتها وهي تستقل الكرسي المجاور لكرسي القيادة:

ما قلتليش أخبار القشطة أخوكِ إي؟

هتفت حياة التي استقلت الكرسي الخلفي:

ميار عيب كده!!

أردفت وهي تشغل محرك السيارة:

سيبيها على راحتها يا حياة، عفويتها دي أكتر حاجة عجبتني فيها.

تحدثت بمشاغبة:

عفويتي بس؟ ده أنا كلي مميزات، آه والله، حتى اسألي حياة، ده أنا عليّ صينية مكرونة بالبشاميل تأكلي ذراعك وراها...

أخذت تثرثر وتمزح معهما طوال الطريق، حتى وصلوا إلى وجهتهم.

عملتي أي يا هنون؟

أجابتها بإرهاق شديد:

حليت الحمد لله وإنتي؟

كله تمام يا كبير يللا بقى تعالي وصليني عشان أوفر فلوس التاكسي.

ابتسمت ابتسامة باهتة ثم هتفت بهدوء:

طيب يا أختي تعالي اركبي، بس اعملي حســـابك بكرة هتعزميني على الفطار بفلوس التاكسي؛ اللي إنتي وفرتيها النهاردة.

أحيه ما بتسيبيش حقك أبدًا يا ساتر!

أردفت وهي تصعد السيارة:

أيوة طبعًا أمال. يللا اركبي خلينا نمشي من هنا.

بعد أن تحركت السيارة بقليل صدح صوت رنين هاتف مارلين، التي سرعان ما ابتسمت عندما أدركت هوية المتصل، فأجابت بلهفة:

ميزو وحشتني.

تنهيدة عميقة خرجت منه فوصلت إلى مسامعها، ثم أتبعها بقوله:

والله إنتي اللي وحشتيني يا مارو.

ابتســـمت بعذوبة ثم راحت تقص عليه ما حدث في يومها. غافلة عن التي تتمزق بجوارها فقد فتح جرحها من جديد؛ فتلك المكالمة كانت تأتيها من مالك بعد كل امتحان، وكأن تصــرفات العشـــاق كلها واحدة وكأنه منهج درسوه سويًا.

دمعة حزينة هربت من مقلتها أزالتها على الفور؛ كي لا تراها صـــديقتها التي يبدو عليها السعادة.

دعت الله بداخلها أن يُديم عليها تلك السعادة ولا يحرمها منه.

في مساء هذا اليوم:

حمل فنجان قهوته المسائية ثم دلف للخارج قاصدًا الشرفة، وهو في طريقه استمع لصوت جرس الباب،

فأتاه على الفور ليعرف هوية الطارق، فتح الباب ثم ارتسمت على وجهه ابتسامة مشرقة هاتفًا بترحاب شديد:

مالك حبيبي إيه المفاجأة الحلوة دي اتفضل يا غالي، يا ابن الغالي.

مد يده ليصافحه؛ فالتقطها مالك على الفور ثم ضغط عليها بخفة: عامل إيه يا أونكل ممدوح؟

أجابه وهو يشير له بالدخول:

اتفضل بس الأول وبعدين أقول لك عامل ايه!

أومأ موافقًا، وولج منه باتجاه غرفة الصالون التي يحفظها عن ظهر قلب؛ فهو كان يأتي كثيرًا مع والده لزيارة هذا الرجل الشهم.

تبعه بعد أن أغلق الباب ثم منحه فنجان قهوته مرضفًا بمزاح:

اتفضل يا سيدي فنجان قهوة معمول بمزاج ب ١٠٠٠ هنا وشفا، كنت عامله لنفسي اشربوا وأنا ثواني وهعمل غيره؛ عشان ده ميعاد فنجان قهوتي.

أخذه منه ثم ارتشف منه رشفة واحدة، ثم همهم بتلذذ:

اممم حلو قوي البن ده يا أونكل.

أتـاه صــوتـه من المطبخ، الـذي كان مفتوحًـا على غرفـة الجلوس فهو على الطراز الأمريكي:

بالهناء والشفاء يا حبيبي. عندي زيادة هابقى أديك منه وأنت ماشي.

ثواني وعاد يحمل فنجانًا آخر من القهوة، ثم جلس قبالته مردفًا باهتمام:

ها كلي آذان صاغية.

تنهد بعمق ثم راح يقص عليه ما حدث في مكتبه صـبـاحًـا. وتعبيرات الآخر تتبدل للعنف تارة وللغضــب تارة أخرى، فما يحدث مع ابن صــديقه ما إلا لعبة قذرة تحاك ضده.

انتظره حتى أنهى حديثه ثم هتف بحدة مبالغ فيه:

مين الكلب اللي عمل كده ومنين جاب الصـور؛ النسـخة الوحيدة اللي كانت معانا، أنت حرقتها بإيدك قبل وفاة والدك على طول.

جذب خصلات شعره بقوة مرضفًا بحدة:

ما هو ده اللي هيجنني مش عارف جلبوها منين.

ربط على ساقه ثم تحدث بهدوء:

خلينا نمشي ورا كلام معتز ونستنى نشوف الحقير ده عايز يوصل لإيه؟

أومأ موافقًا فيبدو أن ليس أمامه ســوى الصــبر "حتى يُحدِث الله بعد ذلك أمرًا".

تجلس على فراشها الوثير..

تذاكر دروسها بتركيز شديد فإذا بصوت رسالة يصدح من هاتفها المحمول، فسرعان ما التقطته من فوق الطاولة التي تجاور الفراش، فتحت الرسالة وبدأت تقرأ محتواها بصوت خافت:

حبيبة قلبي عملتي إيه في الامتحان النهاردة أنا مش هأقبل بأقل من جيد جدًا، بنوتي الصغيرة شاطرة عارف إنك مش هتردي.. بس حبيت أطمن عليكي يا هنايا.

امتعض وجهها عندما ناداها بنفس الاسم. الذي كان يناديها به معشوقها فاتخذت قرارًا ثم أزالت الرسالة..

وعادت تكمل ما كانت تفعل لكن بذهن شارد وقلب محطم.

بينما في الأسفل كانت تشاهد إحدى المسرحيات وتضحك بصوت مرتفع، فإذا بها تجلس بجوارها على نفس ذات الأريكة

أعطت تركيزها للتلفاز ولم تعرها أي اهتمام، وهذا الأمر أزعجها بشدة فالتقطت جهاز التحكم وأغلقت التلفاز. فصاحت بها السيدة هدى:

إيه قلة الذوق دي؛ إنتي إزاي تقفلي التليفزيون وأنا قاعدة بتفرج؟

أجابتها باستفزاز:

والله كيفي كده ودماغي مصدعة، إيه؛ بلاش أرتاح في بيتي كمان؟

شعرت السيدة هدى بالإهانة ولكنها لم ولن تصمت لتلك الحرباء؛ فصاحت بها بغضب:

إســـمعيني كويس يا بنت إنتي، البيت ده بيتي أنا وبنتي. زي ما هو بيتك ولآخر مرة بحذرك يا نسرين. إبعدي عن طريقي وطريق بنتي أحسن لك وإلا. . .

قاطعتها بصراخ:

وإلا إيه يا هدى هانم هتضربيني مثلًا!

مش بس كده، وهاكسر لك رقبتك كمان، لو ما احترمتيش نفسك واعتذرتي لماما فورًا.

تلك الكلمات قالتها هنا التي أتت على صـــوت صـــراخهما. هبطت الدرج ثم وقفت قبالتها بكل كبرياء صائحة بتعالٍ:

اعتذري لمامًا فورًا. هو آه أنا معرفش إيه اللي حصـــل؛ بس أكيد إنتي اللي غلطانة.

ضحكت باستفزاز أغضب الأخرى.

وإنتي بقى مين عشان تديني أوامر. إنتي مجرد واحدة جوزي إتسلى بيها شوية ورماها، لو أنا منك ما أوريهوش وشي بس إزاي؟ البجاحة لها ناسها برضو.

التف وجهها للجانب الآخر على أثر صفعة هنا التي شعرت بنصل حاد يطعن في منتصف قلبها عندما قالت تلك الكلمات المسمومة.

راح عقلها يعمل في كل الاتجاهات. ولسان حالها يسأل: هل مالك قص عليها ما حدث بينهما في تلك الليلة؟ أم هي تقصـــد علاقتهما العاطفية فقط. قطع شرودها صوتها الغاضب:

بترفعي إيدك عليا يا حيوانة. طب وديني ما أنا سـيباكي، دنت منها على حين غرة ثم جذبتها من خصـلتها القصـيرة حتى أوقعتها أرضًـا، وراحت تكيل لها الضربات في سائر جسدها..

نسرييييييين إيه اللي بتهببيه ده سيبيها فورًا!

نهضـت من فوقها عندما اسـتمعت صـوته الغاضـب، فدنا منهما بخطوات واسعة ثم جلس على عقبيه مقابل هنا التي كانت ترمقه ببرود شديد. سألها بلهفة:

إنتي كويسة؟ حصلك حاجة؟

هزت رأسها نفيًا.

تنهد بارتياح ثم استقام واقفًا موجهًا حديثه لزوجته.

إيه الهمجية اللي أنا شفتها دي، اتفضلي اعتذري لهنا فورًا.

قطعت حديثه بعد أن استقامت واقفة هادرة بقوة:

لا تعتذر لماما عشان هي غلطت فيها.

سحق أسنانه بغل ثم تحدث من بين أسنانه:

اتفضلي اعتذري لهم فورًا وحسابي معاكي بعدين!

"آسفة"! قالتها ثم هرولت إلى الأعلى هاربة من بطشه.

بينما هي جذبت يد والدتها مرضـفة بخفوت: تعالي نطلع نتمشـى شـوية في الجنينة، عشان أنا زهقت من كتر المذاكرة.

أومأت موافقة ثم دلفت معها للخارج فأوقفهما صوته سائلًا إياها باهتمام.

عملتي إيه في الامتحان النهاردة يا هنا؟

تسارعت دقات قلبها حتى إنها شعرت بأنه سيستمع إليها. يا الله كم اشتاقت لاهتمامه بها.. اشتاقت لسؤاله عنها.. اشتاقت لكل ذكرى عاشاها سويًا لكنها سرعان ما تمالكت نفسها وأجابته ببرود مصطنع:

تمام الحمد لله.

تلك الكلمات القليلة قالتها ثم هرولت من أمامه تتبعها والدتها التي شعرت بتخبطها. .

أما عنه؛ فقد بقي مكانه يتابع أثرها في صمت...

انقضى أكثر من شهر وانتهت الامتحانات التي كانت تُقلق الجميع.

الرجل المجهول كان حريصًا على أن يرسل لهنا بعد كل امتحان؛ كي يطمئن عليها وهي بدورها لم ترد عليه بل كانت تزيل الرسالة. أول بأول لكنها لا تنكر بأن هذا الاهتمام بات يعجبها كثيرًا؛ فالأنثى تعشق الاهتمام بالفطرة.

مارلين ومعتز كانا يعيشان أسعد أيام حياتهما..

فكانا يوميًا يتحدثان في الهاتف لكن ليس بالكثير كي يدعها تركز في امتحاناتها.

أما ميار وحياة فكانتا تبذلان أقصى جهد كي يتخطيان سويًا تلك المرحلة بأعلى درجات ممكنة..

بينما أمجد كان طوال الشهر المنصرم يزور دور المسنين كي يتعرف أكثر على تفاصـيل حياتهم؛ ليتمكن من كتابة روايته على أكمل وجه. فهو دائمًا ما يستند في رواياته على أسس صحيحة وحقيقية.. فكلما
كتب عن موضوع أو قضية يبحث عن أشخاص يحملون تلك القضية؛ لكي يضع نفسه مكانهم ويستطيع الكتابة بأريحية؛
فالآن هو أصبح جاهزًا لعرض قضيته على ورق تحت عنوان:
"جحود تحت مظلة الرحمة".

كانت أمنية تطمئن على ميار باسـتمرار بعد كل امتحان، فتارة تذهب إليها أمام المدرسـة ثم توصـلها هي وحياة عند منزل ميار وتارة تطمئن عليها من خلال الهاتف.

قرر محمود أن يرتبط بمنة بعد إلحاح شـديد منها، فطلب منها أن تأخذ ميعادًا من والدها كي يذهب هو وعائلته إليهم. وعندما أخبر والدته رحّبت على الفور فهي تعرف والدة منة وتعرف أخلاقهم.

نسـرين كانت تتجنب هنا ووالدتها طوال الوقت؛ بناءً على تعليمات مالك بأن لا تتعرض لهما وإلا سـتجد منه ما لا يعجبها. لكن كانت تتواعد لهما بالكثير فبسببهما أهينت كرامتها.

ولجت غرفة والدتها بدون استئذان ثم هتفت بصوت مرتفع:
ماما!!!!! أنا زهقانة ومخنوقة!
انحنت لتلتقط خفها المنزلي من على الأرض، ثم قذفتها بها صائحة:

خضيتيني يا بنت الجزمة عايزة إيه؟ وإيه الدوشة اللي إنتي عملاها دي؟

أمسكت بخف والدتها ثم انحنت ووضعته تحت قدمها مرضفة بمهادنة. وهي تجلس بجوارها على الفراش:

بصي بقى يا ست الكل من غير لف ولا دوران طنط إلهام عزمانا على الغدا كلنا. وطلبت مننا نحدد اليوم وأنا بصراحة حددت بكرة.

رمقتها بغضب ثم هتفت:

طيب وجاية على نفسك ليه كده. ما كنتي اخدتينا ورحنا من غير ما تقولينا!

أجابتها ببلاهة:

ما هو لو كنت هعرف أعمل كده كنت عملت بس هشيل مين ولا مين؟!

نكزتها في كتفها:

إنتي يا بنت إنتي هتجلطيني قريب؟!

قبلت يدها بقوة:

بعد الشر عليكي يا ست الكل!

تحدثت بجدية:

بصي يا ميار احنا علاقتنا بيهم مش قد كده يعني مجرد معرفة مش لدرجة نروح ونتعزم عندهم...

قاطعتها بلهفة..

بسيطة يا ماما نتعرف ونخلو زيتنا في دقيقنا يووه أقصد قشطتهم على مربتنا.

ببقى الدنيا ملزقة، بس وربنا هتبقى أحلى تلزيق..

يخرب بيت حلاوة أمه!

قهقهت والدتها بصخب ثم ضربت رأسها بخفة:

يا بنت اعقلي بقى وبطلي تعاكسي في الراجل، مش كفاية فضحتينا يوم فرح مالك وعاكستيه قدام مامته!

ابتسمت هيام ثم تنهدت بقوة:

طيب قلتي إيه هتكسفيني مع الناس بعد ما اديتهم كلمة ولا إيه؟

زفرت بقلة حيلة ثم أردفت باستسلام:

ماشي يا زفتة هنروح بس أول وآخر مرة تعملي حاجة من دماغك فاهمة؟

"فاهمة فاهمة"! قالتها وهي تركض للخارج كي تبلغ أمنية موافقتهم، فهي في الأساس لم تقل لأمنية شيئًا بل افتعلت هذه الكذبة كي تضع والدتها أمام الأمر الواقع.

وفي أحد الأماكن العامة المطلة على البحر يجلس معتز ومارلين قبالته يرتشفان كوبين من العصير الطازج.

ارتسمت على شفتيه ابتسامة حنونة عندما أبصرها تنهي كوبها دفعة واحدة، يبدو أنها كانت تشعر بالعطش؛ فالجو كان شديد الحرارة فهم الآن في فصل الصيف.

أخذ يتأملها بودٍّ رغمًا عنه عندما تطايرت خصلاتها الحمراء بخفة، ناهيك عن لون عينيها الذي بدأ ساحرًا تحت ضوء الشمس

لوحة تحدق بها فتنحنحت بقوة مرتفعة.

إيه يا معتز بتبصلي كده ليه؟

وضـــع يديـه فوق يديها التي كانت تضـــعها فوق ســـطح الطاولـة ثم ثبت سودويتيه.

في بحر عينيها، مرضفًا بعشق شديد غذا قسمات وجهه:

تتجوزيني يا مارلين؟

****

الفصل الثاني عشر

الحياة مليئة بالمفاجآت!

فالمفاجأة ما هي إلا عاطفة تظهر وتختفي بسرعة مطلقة..

فهي من العواطف الأساسية كالفرح والحزن والغضب والخوف..

فليست دائمًا المفاجأة تسعد الشخص بل بالعكس فهناك مفاجآت تُغضبه أو تُحزنه..

ربما أنت ترى أنك إذا فعلت مفاجأة ستسعد غيرك لكن هناك أشخاص لا يحبون المفاجآت وهم أقلية؛ فالكثير من الناس يعشقون المفاجآت، خاصة وإن كانت سعيدة وأخص بالذكر السيدات فهن يعشقن المفاجآت، وخاصة إذا ارتبطت المفاجأة بهدية ما، كالورد والشيكولاتة وغيرها من الهدايا المادية.

لكن القليل منهن لا تضمن ردة فعلهن فهن لا يؤمِن بالمفاجآت، يفضلن لو تخبرهن عما ستفعله من أجلهن بل وتأخذ رأيهن هذا سيكون أفضل بالنسبة لهن؛ فعلى كل شخص يريد مفاجأة غيره سواء بالفرح أو بالحزن، عليه أن يكون دارس الشخصية التي يريد مفاجأتها كي لا يُصدَم من ردود الأفعال.

****

صـمت خيّم على المكان بعد أن فجّر معتز قنبلته الموقوتة، صـدمة دهشـة.. حزن.. فرح. كل هذه المشـاعر اجتمعت بداخل قلبها الصـغير لم تكن تخطط لتلك الخطوة في الوقت الحـالي، أو ربمـا كانـت تود أن تعيش اللحظة دون النظر للمســتقبل ففكرة الزواج به الآن صــعبة، لا بل مســتحيلة، أما عنه فقد شعر بالغضب من صمتها هذا؛ إذ هاتفها صائحًا:

إيه ســكتي ليه يا مارلين مش عايزة تتجوزيني ولا كنتي وخداني تســلية، ولا أكنش صعبت عليكي فقلتي أحن عليه وأقضي معاه وقت لطيف وخلاص.

قاطعته بصراخ:

اسكت أنت مش فاهم حاجة كل اللي أنت قلته ده مش صحيح!

تنهـدت بحرارة ثم بـادرت هي لأول مرة أمســكـت يـده ثم ثبتـت عينيهـا في سودويتيه:

أنا بحبك قوي يا معتز ومش بتمنى حاجة دلوقت غير إننا نتجوز، بس تفتكر أهلي وأهلك هيوافقوا يا معتز؟! أنا مســيحية وأنت مســلم عارفة أن دينك بيســمح لك بده بس أنا ديني ما يســمحليش، أنت عارف لو أهلي شـموا خبر مش بعيد يقتلوني لإني كده هبقى خرجت عن الملة، فاهم قصــدي غير كده أنا متقدم لي عريس ابن كاهن وأهلي شايفينه مناسب.

تقلصــت ملامح وجهه عند ذكر الشـخص الذي يود خطبتها، فأردف بحدة طفيفة:

طيب وبعدين يا مارلين؟ إيه هنستسلم كده ولما إنتي عارفة كل ده من الأول قررتي تديني فرصة ليه ولا هو وجع قلب وخلاص! أنا كنت في بعدك تعبان بس لما دقت حلاوة قربك صدقيني هتعب أكتر يا مارلين، أنا عمري ما حبيت في حياتي غيرك إنتي الوحيدة اللي دخلتي قلبي.

ضغطت على كفه برقة، ثم أردفت بنعومة:

اصبر عليا شوية وأنا همهدلهم في البيت.

رفع كفها إلى فمه ثم طبع عليه قبلة من الداخل وكان بفعلته تلك يثبت لها أنها ملكة..

فالقبلة في كف اليد تعني امتلاكك للطرف الآخر.

جالس فوق كرسي مكتبه الهزاز يعمل بنصف عقل؛ فذلك المجهول لم يرسل أي شيء بعد ذلك اليوم، إذا لماذا أرسل هذه الصور من الأساس؟ وهو لم يطلب شيئًا تُرى هل صرف نظر عن هذه الصور؟! أم إنه يخطط لشيء أكبر؟! وهذا الصمت ما هو إلا هدوء ما قبل العاصفة.

استمع صوت طرقات ناعمة فوق باب مكتبه؛ فظن أنها الخادمة فسمح لها بالولوج دون أن يحيد بصره عن تلك الأوراق التي أمامه، لكن مهلًا فقد غزت رائحتها العطرة أنفه، لوهلة شعر بأنه يتخيل لكن عندما رفع مقلتيه أبصرها تقف أمامه تفرك يدها بتوتر، يبدو أنها تريد طلب شيء فهي عادتها منذ كانت صغيرة.

راح يتأملها قليلًا بدأ من خصــلاتها الفحمية التي اســتطالت قليلًا، وعيناها التي انطفأ بريقها ناهيك عن أنها فقدت الكثير من الوزن، ابتســمت بمكر عندما لاحظت تأمله لها.

اسـتدارت حول المكتب ثم قفزت بخفة وجلسـت أمامه فوق سـطح المكتب، ثم تحدثت بمكر شديد:

مالك أنا كنت عايزة فلوس عشـــان قررت أطلع رحلة شـــرم مع أصـحابي في الجامعة.

تشـنج فكه بابتسـامة غاضبة ثم نهض من مكانه محاصرها بينه وبين المكتب مرضفًا بمهاودة:

سمعيني قلتي إيه كده تاني عشان ما أخدتش بالي؟

رفعت يدها ثم تلمست صدره برقة وأصطنعت بأنها تُبعده عنها:

إللي سمعته يا ابن عمي عمومًا أنا قلت لماما وهي ما عندهاش مانع.

انزلي يا هنا من فوق المكتب واطلعي على أوضـتك ما فيش مرواح في حته قال تسافري مع صحابك قال!

قفزت من فوق المكتب بخفة ثم تمتمت بصوت مرتفع وصل إلى مسامعه: أنا مش باخذ رأيك أنا باديك خبر بس يا ريت تجهز لي الفلوس عشـــان الســـفر أول الأسبوع الجاي تمام يا لوكا؟!

قذفت له قُبلة في الهواء ثم دلفت للخارج بخطًى مثيرة كي تشـــعله أكثر فهي تعرف مدى تأثيرها عليه!

أخذ يلوح بيده أمام وجهه فقد اجتاحت الحرارة جســده أثر قربها المهلك منه.. استلقى فوق كرسيه مرة أخرى وهو يغمغم بخفوت:

هي كانت نقصاكي إنتي كمان يا هنا؟

ثواني وطرقت في رأســه فكرة لماذا لا يشــعر بشــعور الإخوة تجاهها؟ كيف تجتاحه تلك المشــاعر الراغبة في حضــرتها؟ أين قدســية العلاقة بينهما؟ وروابط الإخوة الذي يتحدثون عنها؟ هل كل هذا لأنه كان يُكِن لها مشــاعر عاطفية؟ أم تلك الليلة الذي اتحدا فيها جســداهما جعلته يراها من منظور آخر؟!

أخذ عقله يدور في عدة اتجاهات والكثير من الأسئلة تساوره بدون رحمة.

في عصــر اليوم التالي ذهبت عائلة ميار إلى منزل أمجد وبعد تبادل التحية والســلامات، اجتمعوا في غرفة الجلوس ريثما تنتهي الخادمة من إعداد الغداء.

أخذوا يتجاذبون أطراف الحديث حتى تحدث أمجد عن روايته الجديدة؛ إذ قال:

عارفين يا جماعة الرواية الجديدة بتاعتي دي هتغير حاجات كثير ومفاهيم غلط الناس واخداها!

سالته ميار بلهفة:

رواية إيه دي يا قشطة؟

أقصد يا استاذ أمجد.

رمقتها والدتها بتحذير..

بينما هو أجابها بهدوء:

رواية عن كبار السن واللي بيحصل معاهم لما أولادهم بيتخلوا عنهم.

ابتسمت باتساع ثم هتفت بفخر:

إن شاء الله هتكسر الدنيا زي غيرها أصلًا أنت أي حاجه بتكتبها بتبقى حلوة.

أومأ لها بابتسـامة صـغيرة ثم توجه حديثه لمعتز الذي كان يعبث بالهاتف، يبدو أنه يحادث شخصًا ما فسأله بمكر:

بتكلم مين على الواتس يا ميزو؟

أجابه بتلجلج:

عادي شغل يا حضرة الكاتب.

ابتسـم بمكر ثم سـأل والدته عن الغداء، التي سـرعان ما اسـتقامت واقفة متجهة نحو المطبخ كي ترى ما سبب هذا التأخير،

راحت تحدق به بتركيز وابتسـامة بلهاء تزين صـغرها. نكزتها أمنية في كتفها مرضفة بمكر:

عينك هتطلع على الراجل لو أخذ باله هيبقى شكلك وحش جدًا.

همست بخفوت:

يخرب بيت جمال أمه قشـطة وربنا قشـطة بقول لك إيه يا أمنية ما تجوزيني أخوكي، وهغسـل لكم المواعين، وهاطبخ لكم، وهاروق لكم البيت، يعني من الآخر هوفر لكم أجرة الشغالة ها قلتي إيه؟

اصطنعت التفكير، ثم أجابتها بشقاوة:

لا معلش عرضك مش مغري!

يللا اتفضلوا يا جماعة الغداء جاهز.

تلك الكلمات قالتها السيدة إلهام التي وقفت ثم أشارت إليهم ليتقدموا، ثم تبعتهم وهي ترمق ميار بإعجاب شديد..

شرع في تناول الطعام ثم دنى أمجد هامسًا في أذن معتز:

مش هتقولي مين اللي كنت بتكلمها على الواتس؟

أجابه في خفوت: بعدين عشان أنا مش قايل لحد حاجة غير مالك النويري.

أومأ متفهمًا ثم ساد الصمت قليلًا حتى قطعته السيدة سميرة التي همهمت بتلذذ:

الأكل تحفة يا جماعة تسلم إديكم!

"بألف هنا وشفا يا طنط"! تلك الكلمات البسيطة قالتها أمنية التي كانت توزع نظراتها بين أخيها وبين تلك القصيرة القابعة بجوارها..

تحدثت السيدة إلهام أخيرًا:

تعرفي يا سميرة أنا زهقانة من قاعدة البيت وطلبت من أمجد إني أشتغل، وهو رفض يقولي قال إيه مش عايز أتعبك!

إيه رأيك يا أمي لو نفتح دار مسنين وحضرتك تديريها؟

أيد الجميع الفكرة باستحسان ثم استرسل أمجد حديثه: بس عايزين نفكر في اسم حلو مناسب ولو اتفقنا من بكرة هبدأ في الإجراءات.

يا الله كيف لهذا الرجل أن يكون مثاليًا هكذا؟ فعشـقها له خرج عن المألوف قلبها الصغير تضخم بحبه حتى فاض منه، هتفت بتسرع كعادتها: وأنا عايزة أشتغل معاكم!

وماله يا حبيبتي مفيش مشكلة بقى هو ثواب ليكي عند ربنا.

تحدثت أمنية بجدية:

ودلوقتي عايزين نفكر في اسم حلو؟

إيه رأيك يا أمجد نسميه دار الرحمة؟

رحمة إيه يا أمنية! ده اســم مهروس ٧٠٠٠ مرة قبل كده احنا عايزين اســم فريد من نوعه،

زي صاحب الفكرة كده بالظبط!

قالت الجملة الاخيرة بصـوت خافت وصـل إلى مسـامع أمنية التي كانت تكتم ضحكتها بصعوبة؛ فتلك الفتاة حقًا رائعة بكل المقاييس، كم تمنت أن تكون مثلها تبوح بكل ما يدور بداخلها دون خجل أو معاناة! يا الله كم هي محظوظة فنعم العفوية لا يمتلكها كل الناس!

أيد أمجد حديثها؛ إذ قال:

تمام زي ما ميار بتقول كده عايزين حاجة مختلفة، وتكون لها علاقة قوي بالموضوع من غير ما نجرح في الناس دول.

تحدثت السيدة سميرة والدة ميار:

طيب إيه رأيكم لو سميناها دار الوفاء؟!

تمتمت ميار بخفوت:

وفاء دي تبقى خالتك يا حاجة.

إلى هنا لم تستطع أمنية كبح ضحكاتها فانفجرت ضاحكة تحت دهشة الجميع، فأردفت بصوت متقطع من فرط الضحك:

آسفة يا جماعة معلش افتكرت حاجة.

طيب إيه رأيك يا أمجد لو سميناها دار الحياة؟!

أهي حياة دي بقى بالذات تبقى بنت خالتي شفت بزمتك دي أسامي يقابلوا بيها ربنا؟!

هزت رأسها نفيًا وهي ما زالت تبتسم، فاسترسلت ميار حديثها: اسمعي بقى الطلعة الجامدة بتاعة أختك دي ده أنا هابهرك وربنا:

تنحنحت كي ينتبهوا لها، فأردفت بجدية مبالغ فيها:

احنا نسميها دار البر لكبار السن عشان البر دي جاية من بر الوالدين وكده يعني إيه رأيكم؟

دار البر لكبار السن والله اسم حلو فعلًا برافو عليكي يا ميار!

رباه، هل اسمي حلو لهذه الدرجة أم أصبح حلو لإنه خرج من بين شفتيه؟!

مدح الجميع اختيارها ثم عرضت أيضًا السيدة سميرة المساعدة في هذه الدار، والتي سرعان ما رحبت بها السيدة إلهام وأصبح الحماس سيد الموقف.

في البيت تجلس على الأرجوحة التي في الحديقة تحركها ببطء، وهي تعبث بهاتفها فوجدت رسالة من رقم مجهول لكن ليس نفس الرقم الذي يرسل لها رسائل الغزل، ففتحتها بتردد لكن جحظت عيناها حتى كادت أن تخرجا من محجرهما، فقد كانت الرسالة عبارة عن جملة قصيرة لكن تحمل في طياتها الكثير:

دوري على أصلك يا هنا!

راحت تمرر عينيها أكثر من مرة فوق تلك الكلمات علها تفهم شيئاً لكن مهلًا، ماذا يقصد بتلك الكلمات؟ أليست هي ابنة عائلة النويري المعروفة أي أصل يتحدث عنه هذا المختل؟!

شرعت في حذف تلك الرسالة لكنَّ شيئًا ما بداخلها منعها من ذلك، أغلقت الهاتف ورأسها يعمل في جميع الاتجاهات لكنها اتخذت قرارًا، فاستقامت على الفور وهي عازمة على أن تشرك أحدًا في ما يحدث معها، لعله يفهم ما يدور من حولها!

بينما في منزل مارلين قطعت الغرفة ذهابًا وإيابًا، وهي تجذب خصلاتها تارة وتقضم أظافرها تارة أخرى فهي تخشى المواجهة كثيرًا، فما ستقوله سيقلب بيتهم رأسًا على عقب، ظفرت بحدة ثم دلفت للخارج باندفاع عازمة على التخلص من تلك المشكلة نهائيًا، دقت باب غرفة والديها ثم ولجت بعد أن استمعت صوت والدها يسمح لها بالدخول..

وقفت أمامه ثم أخفضت رأسها أرضًا كالمذنبين مرضفة بشجاعة لا تعلم من أين أتت بها الآن؟!

بابا أنا في شاب متقدملي وبصراحة كدة أنا موافقة عليه وفي مشاعر حلوة تجاهه.

أومأ لها والدها متفهمًا ثم أشار إليها لتجلس بجواره فوق الأريكة المتواجدة في غرفة نومه فاستجابت لكلامه، فسألها باهتمام:

طيب وجورج ابن أبونا بطرس؟

مابحبهوش يا بابا مش بطيقة؛ دمه تقيل على قلبي، بابا حضرتك عمرك ما جبرتنا على حاجة.

ربط على رأسها بحنان بالغ:

طيب يا حبيبتي بلاش جورج أنا هاتكلم مع أبونا وهاجيبهاله بصنعة لطافة كدة، لكن مين الشاب التاني ده؟ واحنا نعرفه ولا لا؟!...

قاطعته بلهفة:

لا يا بابا حضرتك ما تعرفهوش.

اعتدل في جلسته ثم سألها بجدية:

طيب هو تبع كنيسة إيه ما هو احنا برده في الأول والآخر يهمنا مدى تدينوا يا بنتي ولا إيه؟

هنا بُهت وجه مارلين وتجمد الدم في عروقها، وجف حلقها شعرت بالرعب لوهلة لكنها سرعان ما استعادت رباطة جأشها وألقت ما في جعبتها دفعة واحدة:

بصراحة كده يا بابا الشاب ده مش مسيحي أصلًا هو شاب مسلم!

نزلت الكلمة كالصاعقة على مسامع والدها الذي شعر بأن قلبه سيتوقف، ماذا تقول تلك الفتاة؟ هل هي واقعة في حب مسلم؟ كيف ومتى حدث ذلك؟ أين كنا نحن لهذه الدرجة؟ كنا بعيدين كل البعد عن تلك المراهقة الصغيرة حتى جاء من يتلاعب بعقلها! لكن هيهات لن يحدث هذا الأمر ولو ستنطبق السماء فوق الأرض، لن لن يسمح لها أن تخسر دينها من أجل أي شخص ولو كان الثمن حياتها.

الفصل الثالث عشر

العفوية

هي سلوك غير مخطط له على الإطلاق..

فـالشـــخص العفوي يتصـــرف على طبيعتـه بـدون تفكير أو تخطيط..

ويقال في علم النفس إن الشخص العفوي شخص سوي عاطفيًا، شخص شفاف، تلقائي، مرن، انسيابي كمياه النهر.

وأجمل ما يميز الشـخص العفوي أنه يسـتمع دائمًا إلى حدسـه فيصبح رد فعله غير متوقع..

يتصرف كما يخبره به حدسه.

فكلما كنت عفويًا كنت أجمل أبسط وأقرب إلى القلب...

****

عودة إلى منزل أمجد:

بعد أن انتهوا من تناول الغداء جلســوا في حديقة البيت المحيطة بالأشـجار المختلفـة والأزهـار النـادرة؛ فقـد حرص أمجـد على أن يعتني بتلك الحـديقـة فهو يعشق الطبيعة بدوره.

دائمًا ما يجلس فيها، ويختلي بنفســـه خاصـــة عندما يفكر في كتابة رواية جديدة.

اصـطحب أمجد معتز ليجلس في أحد الأركان البعيدة نوعًا ما كي تسـنح لهما الفرصة ليتحدثان سويًا.

بينما السـيدة إلهام والسـيدة سـميرة كانتا تتحدثان في مواضـيع عدة عن حياتهما السابقة.

طلبت ميار من أمنية أن تصطحبها إلى غرفة شقيقها.

اعترضـت أمنية في البداية لكنها اسـتسـلمت أخيرًا بعد إلحاح من ميار فأخذتها بحرص شـديد كي لا يلاحظ أحد؛ فمن غير اللائق أن تدخل فتاة غرفة رجل غريب حتى إن كان غير متواجد بها.

ولجت الغرفة ونبضات قلبها تُقرع كالطبول، استنشقت عطره الفاخر بقوة علها تحتفظ به في رئتيها فترة طويلة ثم راحت تتلمس كل شيء بالغرفة وكأنها تتلمسه هو.

كل هذا كان يحدث تحت مراقبة أمنية، التي شـعرت بالدهشـة حيال تلك الفتاة كيف لها أن تحب أخاها هكذا وهي لا تعرفه معرفة شخصية!

هل يمكن أن ياتي الحب لمجرد أنك قرأت كتابًا لشـخص أو رأيت صـوَرَه في مجله! هذا يستحيل!

قطع حديثها مع نفسـها صـوتها المرتفع قليًلا: إيه ده أسـتاذ أمجد كاتب مذكراته! أمسكت بها وشرعت في فتحها، لكن صوت أمنية الجاد أوقفها عن فعل ذلك عندما هتفت بجدية:

لا يا ميار بلاش كله إلا دي أمجد حذرني إني أقرأها، رغم إني اتحايلت عليه كتير لكن هو شايف إنها خاصة بيه هو لوحده.

وضعتها مكانها وهي تشعر بخيبة الأمل ثم التقطت إحدى زجاجات العطر، ووضعتها في حقيبة يدها مما جعل أمنية تضحك بصخب وهي تربط من بين ضحكاتها:

يلا يا حرامية البرفانات!

أخرجت لها لسانها بطفولية، ثم رفعت أنفها بتعالٍ هاتفة بجدية مصطنعة:

يللا حصليني قبل ما أخوكي ييجي يقفشنا في الأوضة ويظن فينا السوق.

تبعتها للخارج وما زالت ابتسامتها تشق وجهها الساحر.

أما عند معتز وأمجد فبعد أن قص عليه معتز ما يحدث معه ساد الصمت بينهما قليلًا حتى قطعه أمجد الذي أردف بجدية:

- حكايتك صعبة قوي يا صاحبي، الله يكون في عونك، بس أحب أقول لك إن الحب مش عيب ولا حرام، بس العيب إننا نبقى عارفين إن الشخص مش مناسب ومُصِرين إننا نكمل معاه!

كاد معتز أن يعترض على كلامه، لكن أوقفه عندما استرسل حديثه بروية:

- أنا عارف إن الحب مش بإيد حد، بس إنت وهي عارفين إن طريقكم صعب، ويمكن يكون مستحيل، ومع ذلك كملتوا فيه! لا إنت حتقبل تتنازل عن دينك ولا هي، حسب كلامك ليا إنها بنت متدينة ومتمسكة بدينها لأبعد الحدود، بس في أمل في موضوعكم، عارف إيه؟

رمقه برجاء خالص كي يستحثه على المتابعة ويريح قلبه الملتاع، أخذ نفسًا عميقًا ثم أخرجه على مهل:

- إن أهلها يكونوا متفهمين، جايز لو شافوا قد إيه إنت بتحبها ومتمسك بيها يوافقوا، فإنت كل اللي عليك إنك تقنع أهلها بيك؛ لأن أهلها هم أساس الموضوع، أما أهلك إنت مقدور عليهم، طنط سميرة طيبة جدًا، ما اعتقدش إنها هتوقف في طريق سعادتك.

أومأ متفهمًا وهو يدعو الله بداخله أن يوفقه ويعاونه فيما هو مقدم عليه.

صدمة اجتاحتها بقوة عندما وقع بصرها على تلك الرسالة؛ ماذا يقصد مُرسلها بالضبط!

وقفت تنتظر حديثها بنفاد صبر؛ فتلك الرسالة أثارت فضولها بقوة.

راحت توزع بصرها بين تلك الواقفة أمامها تارة وبين الهاتف الذي في يديها تارة أخرى.

ظلت هكذا لوقت ليس بالقليل حتى هتفت بها:

- إيه يا ماما، فهمتي إيه من الرسالة دي؟!

ازدردت ريقها بتوتر ملحوظ، ثم أجابتها بتلعثم:

- أكيد مبعوتالك غلط، أصل إيه وكلام فاضي إيه، إنتي هنا كمال النويري، واعملي للرقم ده حظر، بلاش كلام فاضي، ده واحد فاضي حابب يضيع وقته.

أومأت بعدم اقتناع، لكنها ليس أمامها سوى الاقتناع بكلام والدتها في أي شيء ستفعله، عكس هذا سيكون دربًا من الجنون.

تجلس بجوار والدها تهز ساقيها بتوتر تدَّعي القوة وهي لا تمتلكها! فبداخلها صوت يطلب منها أن تترك كل شيء وتركض، فنظرات والدها لا تبشر بالخير أبدًا، هي تعلم أن هذا الأمر صعب، لا بل مستحيل، لكن هو يستحق منها المجازفة؛ فهو يعشقها وترى ذلك بوضوح في عينيه فلا يمكنها التخلي عنه مهما حدث.

لم تتخيل حتى في أسوأ كوابيسها أن ترتبط بشخص خارج دينها لكن هيهات فالقلب ليس عليه سلطان.

انتفضت على صوت والدها الغاضب:

- مستحيل، مستحيل تكوني بنتي اللي ربتها، مستحيل تكوني مسيحية، أنا كنت معتقد إن مافيش حد بيحب دينه قدك! واحدة زيك خادمة في الكنيسة، متدينة بطبعها، بتصلي كتير، إزاي هان عليكي دينك كده يا مارلين إزاي، إزاي ترفضي ابن كاهن عشان واحد مسلم؟! أنا مش بقلل من المسلمين، دول أخواتنا، اتربينا في وسطهم، صديقي المقرب مسلم، لكن نتجوزهم لا.

ابتلعته غصة مريرة في حلقه، ثم استرسل حديثه بروية:

- طيب إنتي عارفة إنك لو اتجوزتي الولد ده، أولادك هيبقوا إيه، أقول لك، أولادك هيبقوا مسـلمين زي أبوهم، هتقبلي بكده يا مارلين يا خادمة الكنيسة، ردي؟!

لا تعلم ماذا تجيب، فهي تعلم علم اليقين أن والدها محق في كل كلمة قالها، لكن ماذا عساها أن تفعل فهي مغرمة به.

تنحنحت بخفوت ثم هتفت بانكسار:

- بس يا بابا، حضـرتك بتقول إن الحب مش بإيدينا، والرب عارف إن اللي حصـل ده مش بإيدي، مش الرب هو اللي بيتحكم في مصـايرنا ومشـاعرنا! صدقني يا بابا أنا حاولت أبعد عن الشخص ده، شهور وأنا باتهرب منه بس في الآخر مقدرتش أبعد عنه أكتر من كده وأتجاهل مشاعري تجاهه، آسفة يا بابا، أنا مش شايفة حياتي الجاية من غير معتز.

صـفعة قوية فوق وجنتها كانت الرد على حديثها، فتلك الصـغيرة تمادت كثيرًا ويجب ترويضها قبل فوات الأوان.

وبعد مرور أسبوع...

اسـتعدت عائلة محمود كي يذهبوا لخطبة منه ابنة جيرانهم، وقفت ميار أمام المرآة تدندن بسعادة:

"يا دبلة الخطوبة عقبالنا كلنا، ونبني طوبة طوبة في عش حبنا".

صفعة قوية نزلت على مؤخرة رأسها، تأوهت بخفوت ثم استدارت صارخة به بعد أن تعرفت عليه من خلال صورته المنعكسه في المرآة:

- إيدك تقيلة يا محمود، الله.

ابتسم باستفزاز ثم أردف بحدة مصطنعة:

- أمك بقالها ساعة بتنادي وإنتي مش سامعة بسبب صوتك النشاز اللي مصدعنا من الصبح.

أخرجت لسانها له ثم تحدثت بغرور:

- مين دي اللي نشاز، يا بابا ده أنا كروان وربنا، أنا بس مش مبينة موهبتي عشان اللي في السوق ياكلوا عيش، عارف إنت لو قلت يا ليل بس، مطربين البلد هيقعدوا في البيت، ما بالك بقى لو قلت يا عين، إيه اللي هيحصل.

ضرب رأسها بخفة ثم ابتسم رغمًا عنه، فتلك الصغيرة خفيفة الظل، هي مصدر سعادتهم في هذا المنزل

فالأخت نعمة كبيرة لا يقدر قيمتها إلا من حُرم منها، فهي بمثابة أم ثانية في المنزل.

بعد مرور بعض الوقت..

وقفت سيارة معتز أمام منزل عائلة منة التي استقبلتهم بحفاوة وترحيب شديد.

بعد الكثير من المزاح بين الرجال، أشار محمود لأخيه الأكبر أن يتحدث..

فأومأ موافقًا، ثم بدأ بالجملة الشهيرة التي نحفظها جميعًا عن ظهر قلب:

- يشرفنا ويسعدنا إننا نطلب إيد بنتك منة لأخويا الدكتور محمود، طبعًا إحنا مش لسه هنعرف بعض، إحنا ولاد منطقة واحدة.

ابتسم الحاج ناجي والدها الذي قال بترحيب شديد:

- الشرف لينا يا ابني، ده إنتم نعم الناس، وأبوك الله يرحمه كان زينة الرجال.

غمغم الجميع بخفوت: "الله يرحمه".

- طيب طلباتكم إيه يا حاج ناجي؟

تلك الكلمات قالتها السيدة سميرة التي كانت تشعر بالفخر وهي وسط أبنائها.

تحدثت السيدة عفاف والدة منة بابتسامة فرحة:

- عايزين شقة خمس أوض وصالة وحمام ومطبخ، ومهر نص مليون جنيه، ومؤخر زيهم، أما بقى الشبكة فدي هدية العريس مش هنتكلم فيها هنسيبها لذوقكم.

بُهت وجه السيدة سميرة وكذلك معتز الذي شعر بجشع تلك السيدة.

غمغمت ميار بصوت منخفض لكن وصل صوتها إلى مسامع والدتها وأخويها: "إحنا ندفع مليون جنيه في دي، ليه إن شاء الله؟! دي شبه الأنبوبة المقلوبة، آه والله عشنا وشوفنا الأنابيب بقت بملايين!".

صاح محمود بصوت مرتفع:

- مليون جنيه إيه، وشقة إيه اللي خمس أوض؟! إنتوا جايين تحققوا أحلامكم هنا! وبعدين إيه كل ده يا حماتي؟! هو أنا هتجوز هند رستم الله يرحمها!

ضحكت ميار بقوة فنبذتها والدتها كي تصمت، ثم رمقت محمود بتحذير، فتحدث معتز أخيرًا:

- بصي يا حاجة، أنا كلامي مع عمي الحاج ناجي، ها يا حاج، قلت إيه؟ عايزين نسمع مطالبكم بس بالعقل، بالعقل يا حاج.

رمقته زوجته بتحذير، فأردف بتلعثم:

- هي والدتها وأدرى بالحاجات دي مني، إنت عارف بقى يا معتز إن الحاجات دي حاجات حريم، وإحنا الرجالة ملناش فيها.

غمغمت ميار بخفوت: "رجالة إيه بس يا حاج! دي الست زغرتلك زغرة خلتك عامل زي الكتكوت المبلول، جتكوا نيلة، الله يسامحك يا محمود، نسب عرة بصحيح".

استرسل معتز حديثه وهو ينهض مشيرًا لإخوته ووالدته:

- طيب يا حاج ناجي، كل شيء قسمة ونصيب، وشكرًا على الضيافة، يلا يا جماعة.

أوصلهم الحاج ناجي حتى الباب ثم عاد وجد ابنته تبكي بشدة ووالدتها تواسيها:

- بتعيطي ليه يا عبيطة ده أنا بعززك، شفتي ندى بنت عمك اتجوزت مين وجاب لها إيه، إنتي مش أقل منها ولا هي أحلى منك، وبعدين ما هو دكتور، وأخوه مهندس قد الدنيا في أحسن شركة في البلد، يعني معاهم، لو هو شاريكي وعايزك بجد هيوافق على شروطنا.

تعالت شهقات منة التي هرولت إلى غرفتها وصوت شهقاتها تعلو وتعلو.
مصمصت شفتيها بعدم رضا:
- شوف البنت، باعمل لمصلحتها وهي مش عاجبها.
رمقها زوجها طويلًا ثم انصرف إلى غرفته ولم يتفوه ببنت شفة.

في سيارة معتز، كان يقود بهدوء، بينما محمود كان يشعر بالإحراج الشديد من أخيه الأكبر ووالدته؛ إذ هتف بإحراج:
- آسف يا معتز، والله ما كنت أعرف إن أمها كده.
ابتسم بخفة ثم ربت على كتفه بخفة:
- ولا يهمك يا حودة، بس الناس دي طمعانين فينا، وإنت يا حبيبي تستاهل أحسن حد في الدنيا.
قطعته ميار التي كانت تجلس في الكرسي الخلفي بجوار والدتها:
- أنا بس عايزة أعرف، إيه اللي كان عاجبك فيها، دي أوزعة ومغرورة كده في نفسها.
ضربت رأسها بقوة.
- احترمي نفسك يا بنت، عيب كده، وبعدين مش هتعقلي بقى، إيه الكلام اللي كنتي بتقوليه هناك ده؟!
انفجر محمود ضاحكًا ثم أتبعه معتز عندما تذكرا ما حدث بالداخل، وسرعان ما شاركتهم والدتهم المزاح حتى تبدل الجو المشحون إلى جو مبهج، والفضل في ذلك يعود لميار.

تجلس في بهو القصـــر، تتابع أحد الأفلام الكوميدية، وفي نفس الوقت تعبث بهاتفها الذي صـدح بصـوت رسـالة ففتحتها على الفور، بدأت تقرأ محتواها بدون صوت:

"حبيبة قلبي حابســـة نفســـها في البيت ليه؟ اخرجي يا روحي وغيري جو، ما تكبتيش نفسك، ما شفتكيش من ساعة آخر يوم امتحانات، وحشتيني قوي يا هنايا"!

ابتســامة صـغيرة شــقت شــفتيها؛ فذلك الرجل لا يكل ولا يمل من إرســال الرســائل لها، حتى إنه لم يعاتبها على عدم الرد عليه، فشــيئًا ما دفعها لترد عليه؛ إذ كتبت له بتردد:

"مين إنت".

ارتسـمت ابتسـامة واسـعة على محياه، فهي كما توقع، ردت على رسـالته، إذًا فهو يمضي في الطريق السليم.

أغلق هاتفه دون أن يرد، فهو يريد أن تتعلق به أكثر وفضولها يزداد تجاهه.

شــعرت بالغضــب عندما وجدت أنه رأى رســالتها ولم يرد، فأرســلت له مرة أخرى:

"مش من الذوق إنك تشوف رسالة وما تردش".

كتبت تلك الكلمات ثم أغلقت تطبيق الواتســـاب بل أغلقت هاتفها بأكمله وبداخلها غضـــب شـــديد؛ فأكثر شـــيء تكرهه الأنثى هو عدم التقدير والتجاهل.

شعرت بأحدهم يجلس بجوارها فوق الأريكة فاستشفت أنه هو؛ فرائحته تسبقه أينما ذهب.

مرر عينيه عليها بتفحص، ثم سألها باهتمام:

- ما لك في حاجة مزعلاكي؟

ابتسمت بداخلها؛ فما زال يهتم بتفاصيلها، فأجابته باختصار:

- مافيش.

صمتت قليلًا، ثم سألته بتوجس:

- جهزت الفلوس يا ابن عمي؟

سحق أسنانه بغضب؛ فهو لن يسمح لها بالذهاب إلى أي مكان، خاصةً وإن تلك الرحلات من هذا النوع مختلطة بين الشباب والفتيات، فأجابها بعد أن استعاد هدوءه:

- لا ما جهزتش حاجة أصل ما عنديش سيولة اليومين دول.

ابتسامة ساخرة تشكلت على وجهها البريء وأردفت ببرود استفزه كثيرًا:

- مش مشكلة هاخد من ماما.

قبض على ذراعها بعنف هادرًا من بين أسنانه:

- اســمعيني كويس، مش هســمحلك تتمادي أكتر من كده، كلامي هيتســمع ومفيش مرواح في مكان

لوحدك، مفهوم؟!

سحبت يديها من بين يده، لكنه ازداد من ضغطه عليها، فتحدثت ببكاء:

- سيب إيدي، إنت بتوجعني.

لانت ملامحه فأفلت يدها ثم راح يمسح دمعتها بإبهامه، وهو يغمغم باعتذار:

- آسف يا قلبي، مكنش قصدي أوجعك.

تحدثت بوجع:

- تقصد أنهي وجع بالظبط يا مالك؟ وجع قلبي ولا وجع إيدي؟ إن كنت تقصد وجع إيدي فده ميجيش واحد في المية من وجع قلبي.

يا الله على نبرة الألم التي تتحدث بها، ماذا فعلت يا مالك بتلك الزهرة الندية، ماذا فعلت؟

فليذهب كل شيء إلى الجحيم.

جذبها يعتصرها بين أحضانه فتشبثت بحضنه بقوة وهي تشعر بأمان العالم يغلفها، وكأن هذا الحضن ملك لها وحدها.

- الله الله، إيه اللي بيحصل هنا؟!

قالتها نسرين التي تقف أعلى الدرج وهي تستشيط من الغضب.

بينما عند مارلين تنساب دموعها بصمت فهي كانت تتحدث مع معتز خلال تلك الأيام الماضية، ولكن دون أن تخبره أي شيء مما حدث مع والدها، فبعد

أن صفعها أمَرها بأن تظل حبيسة غرفتها حتى تعود إلى رشدها، انفتح الباب بقوة يليه ولوج والدها الذي أردف باشمئزاز:

قومي اغسلي وشك وغيري هدومك عشان أبونا بطرس وابنه جورج قاعدين بره.

****

الفصل الرابع عشر

الإجبار..

ســـلوك خاطئ ينتهجه الأهل تجاه أبنائهم بحجة أنهم أدرى بمصلحتهم وأنهم أكبر منهم سنًا وأكثرهم خبرة في الحياة، لكن كل هذا غير مقبول بالنسبة للفرد.

فمثلا عندما تُجبر ابنتك على الزواج بشــخص هي لا تريد الزواج به فهي تتدمر نفســيًا وجســديًا لأنها أرغمت على هذا الرجل، فتنقلب حياتها رأسًا على عقب، كل شيء ستفعله سيكون رغمًا عنها، ستفعله فقط من أجل الواجب ليس أكثر،

ثم إن جميع الأديان السماوية تنهى عن إجبار الفتاة على الزواج، فأهم شــيء لإتمام الزواج الصــحيح هو القبول، فلا يحق لأي شــخص أن يُكره الفتاة على شــخص لا تريده حتى وإن كان والديها، هذا شيء غير مقبول، سواء كان دينيًا أو أخلاقيًا،

على كل أب أن يحتوي ابنته ويقنعها بوجهة نظره فإن لم تقتنع بها يتراجع عن الموضــوع فورًا، وإن لم يفعل ذلك فعليه تحمل نتيجة تعسفه هذا؛ لأنه بهذه الطريقة سيلقي ابنته في الجحيم دون أن يدري.

****

تحركت مارلين باتجاه غرفة الجلوس ملقية تحية المســـاء بصـــوت خالٍ من الحياة، مصافحة كلًّا من الكاهن وولده جورج ثم جلست فوق أحد الكراسي في صمت.

راح يتفحصها بإعجاب شديد، فهي رغم شحوب وجهها وعينيها الذابلتين إلا أنها جميلة، جميلة حد الفتنة، ارتسـمت ابتسـامة عذبة على قسـمات وجهه الوسـيم؛ فهو يمتلك عينين بندقيتين وشـعرًا أسـود لامعًا، بشـرته حنطية، وجسده متناسق.

استفاق من تأمله بها على صوت والده الجاد الذي أردف بابتسامة:

- بص يا وجدي يا أخويا، أنا جيت النهارده عشـــان أطلب إيد مارلين لجورج ابني، طبعًا إحنا تحت أمركم في كل حاجة، إحنا شـــاريين مارلين، هي ونعم البنت.

- موافق.

تلك الكلمة التي تفوه بها والدها قسـمت قلبها إلى نصـفين؛ فهي تشـعر بالتيه مما يحدث حولها، تشـعر كأنها في كابوس سـتسـتيقظ منه تجد كل شيء على ما يرام.

أطلقت والدتها الفرحة زغرودة ثم أشـــارت لمارلين أن تتبعها لثوانٍ، وعادت تحمل صينية مستديرة موضوع عليها أكواب من العصير الطازج قدمته لهم كل شـخص على حدة، ثم عادت مكانها تجر أجيال الخيبة فهم يقررون خطبتها وحبيبها يعد الأيام كي يأتي لخطبتها، يا لسخرية القدر!

- ايه اللي بيحصل هنا ده؟! هبطت الدرج وهي تستشيط غضبًا ثم وقفت قبالتهما تضع يدها في خصرها..

كانت قد ابتعدت عنه عندما رأتهما من أعلى الدرج لكنه لم يدعها تنهض؛ إذ قبض على رسغها كي تبقى مكانها،

رمقها بتحذير قبل أن تتمادى في حديثها:

- في إيه يا نسرين مالك، بتزعقي كده ليه؟

- يا بجاحتك يا أخي شايفاك بعيني وإنت حاضن الهانم وبتقولي مالك في إيه؟! صحيح اللي اختشوا ماتوا.

اشتعلت رماديتاه من الغضب مردفًا بحدة أخافتها:

هش ولا كلمة زيادة اتفضلي اطلعي فوق وأنا هاحصلك!

لوت شفتيها بعدم رضا ثم صعدت للأعلى وهي تغمغم بكلمات غير مفهومة.

بينما هي رمقته بنظرات خاوية ثم سحبت يدها من يده وصعدت إلى غرفتها وبداخلها حزن شديد.

أما مالك فقد بقي مكانه يتابعها بعينيه حتى اختفت عن مرمى بصره. زفر بقلة حيلة ثم أمسك هاتفه وبحث عن رقم صديقه عازمًا على الاتصال به؛ كي يلتقيا في مكان هادئ يتحدث معه عن كل ما يحدث معه علّه يرتاح قليلًا.

- يا أهل المنزل، أين أنتم؟

استقبلتهم والدتهم التي دلفت للتو من غرفتها هاتفه بابتسامة حانية:

- أهلًا أهلًا بالكاتب العظيم.

دنا منها ثم أمســـك يديها وقبَّلهما بالتناوب ثم اعتدل في وقفته ســـائلًا إياها بجدية:

- نوشة فين؟

- أنا أهو يا حبيبي، يلا بينا ناكل عشان أنا واقعة من الجوع.

ألقت كلماتها وســـبقتهما إلى غرفة الطعام، أتبعها أمجد وكذلك والدته، فترأس هو الطاولة، ووالدتهم على يمينه بينما أمينة جلست على يساره.

شرعوا في تناول الطعام فتحدث أمجد بهدوء:

- مش أنا جبت تصريح الدار.

- بالسرعة دي يا أمجد!

- هو أنا أي حد يا ست الكل، ده أنا أمجد سامي.

هتفت أمينة بحنق:

- مغرور أوي يا حضرة الكاتب.

رفع ياقة قميصه بغرور مصطنع:

- ده أقل حاجة عندي يا بنتي.

- بس اسمها حلو قوي يا أمجد، بجد تسلم أفكارك يا بنت يا ميار.

هتف مؤيدًا لحديثها:

- هي فعلًا اسمها حلو أوي.

وربتت على يده التي كانت فوق الطاولة:

- ربنا يجعله في ميزان حسناتك يا أمجد يا ابن إلهام، قول آمين.

- آمين.

قالها أمجد وهو يشـــعر بالفخر من ذاته؛ فوالدته كانت تبحث عن عمل فهداه الله إلى تلك الفكرة؛ كي يضرب عصفورين بحجر واحد.

كما في مساء اليوم التالي كانت تبكي كعادتها في الآونة الأخيرة، سمعت صوت هزيز هاتفها، التقطته على الفور، ابتســـمت بمرارة عندما رأت اســـمه يزين الشـــاشـــة، مســحت دموعها بســـرعة ثم أجابت بصـــوت حاولت أن يكون طبيعيًا:

- أيوة يا ميزو.

شعر بأنها تخفي عليه شيئًا، فهي منذ الأمس تحادثه قليلًا، سألها بتوجس:

- ما لك يا مارلين، في حاجة حصلت يا حبيبتي، طيب كلمتي باباكي؟

إلى هنا لم تستطع الصمود فانفجرت باكية وراحت تقص عليه كل ما حدث من والدها، وأنه أجبرها على الخطبة من جورج ابن الكاهن بطرس.

أغلق الهاتف في وجهها ثم هرول للخارج وكأن شياطين الأرض تلاحقه.

وقف أمام باب منزلها الذي يقطن في الدور الســـابع، ومع ذلك فهو لم يطِق صبرًا انتظار المصعد، وصعد على قدميه أخذ نفسًـا عميقًا ثم أخرجه على مهل وطرق جرس الباب، ثوانٍ ووجده يفتح، ما كان هذا ســـوى أخيها مينا الذي رمقه بتفحص، ثم سأله بريبة:

- خير حضرتك، إنت مين؟

أجابه باختصار:

- معتز الشامي وجيت أتكلم مع والدك شوية، هو موجود؟

أومأ بخفة ثم فتح له الباب مردفًا بترحيب:

- اتفضل في الصالون، وأنا هابلغه بوجودك.

تقدم أمامه ثم أجلسه في غرفة المعيشة وانصرف لينادي والده الذي حضر بعد بضع دقائق، وقف قبالته ثم مد يده ليصافحه، التقطها الآخر بسرعة ثم عرفه بنفسه:

- أنا معتز الشامي يا عمي.

تجهمت ملامح وجهه عندما تعرف على هويته، فقد ذكرت له مارلين هذا الاسم أمس، جلس بجواره ثم أشار له بالجلوس مردفًا برويّة:

- بص يا ابني، أنا بنتي حكت لي على كل حاجة وأنا مش موافق، عمرى ما هقبل إني أجوز بنتي لشخص مش من دينها، تمام، وبعدين بنتي خلاص اتخطبت لشاب ممتاز ومسيحي زيها، روح يا ابني دور على نصيبك في حتة تانية، وتكون من دينك.

هب واقفًا ثم صاح باحتدام:

- الكلام ده مش هيحصل، بنتك مش هتكون لحد غيري، أنا مش هقبل بالكلام اللي حضرتك قلته.

- ومين إنت عشان تقبل ولا ما تقبلش، اسمع يا ابني، المقابلة انتهت.

- طيب اسـمع بقى يا حاج، بنتك محدش هيتجوزها غيري حتى لو اضـطريت أخطفها، تمام، وأحسـن لك الغي الخطوبة دي عشـان ما ألغيهاش أنا، تمام، سلام يا حمايا العزيز.

دلف للخارج وهو يستشيط غضبًا فذلك الرجل مثير للاستفزاز.

بينما هو فقد شـعر بالخوف من تهديد ذلك الشـاب المبطن فاسـتقام واقفًا عازمًا التحدث مع ابنته كي تنهي هي هذا الحوار السـخيف من وجهة نظره، اقتحم غرفتها دون اسـتئذان كعادته في الآونة الأخيرة، ثم أمسـك بيدها ضاغطًا عليها بقوة مضيقًا على أسنانه:

- اسـمعي يا بنت إنتي، إنتي هتتصـلي بالزفت اللي إنتي بتحبيه، وهتبلغيه اللي هقولك عليه وإلا هتشـوفي مني وش عمرك ما شـفتيه، لو خايفة على حبيب القلب اعملي اللي طلبته منك وإلا...

قاطعته بلهفة:

- حاضر يا بابا هاعمل اللي حضرتك عايزه.

- هاقول لك تقوليله إيه، اسمعي.

بعد أن أنهى عمله أغلق الصـيدلية ثم عاد إلى منزله، اسـتوقفه صـوتها المبحوح:

- محمود، يا محمود.

تعرَّف عليها على الفور، فاستدار لها ليعلم ماذا تريد تلك الحمقاء التي تنتظره بعد منتصف الليل في أحد الشوارع الجانبية، دنت منه بلهفة ثم تحدثت ببكاء:

- أرجوك يا محمود، ما تسبنيش، صدقني أنا مش عايزة حاجة، طيب أقول لك، أنا مستعدة أعيش مع طنط سميرة والله العظيم.

شعر بالشفقة عليها؛ فهي أولًا وأخيرًا فتاة ضعيفة تحبه كثيرًا.

زفر بحدة ثم أردف بهوادة:

- طيب يا بنت الناس، روحي دلوقت وبكره نبقى نتكلم، أو أقول لك، هكلمك في الموبايل لما أروح، اتفقنا؟

- أومأت بسرعة ثم ركضت من أمامه قبل أن يراها أحد من الجيران ويتحدث عنها بالسوء.

قطعت الغرفة ذهابًا وإيابًا وهي تفكر في حل لصديقتها فهي كانت تعلم علم اليقين مدى صعوبة هذه العلاقة لكنها كانت تؤمن أن الحب أقوى من أي شيء، لكن يبدو أن الحب ليس كافيًا لإقامة علاقة صحيحة وكاملة؛ فهناك أشياء أخرى ما زالت تجهلها بسبب سنها الصغير وخبرتها القليلة.

تناولت هاتفها ثم ضغطت اتصال، لكن أعطاها مغلق، زفرت بقوة ثم بحثت عن رقم معتز وهاتفته ثواني وأتاها رده على الطرف الآخر:

- أيوه يا هنا؟

سألته بتوجس:

- هو في إيه؟! بقالي كام يوم برن على مارلين مش بترد، والنهارده برن لقيته غير متاح، في إيه بالظبط يا معتز؟!

أجابها بانكسار:

- مارلين صحبتك اتخطبت.

اختنق صوته بالبكاء، فأغلق قبل أن تخونه دموعه ويبكي بصوت مرتفع كالأطفال.

بينما هي فقد شعرت بدلو ماء بارد يُسكب عليها في شهر أمشير.

متى وكيف تمت خطبتها فهي آخر مرة حادثتها، أخبرتها بما حدث بينها وبين والدها، لكن لم تخبرها بشأن خطبتها، دمعت عيناها تأثرًا، ثم عزمت على الذهاب لها في الغد كي تفهم كل ما يحدث مع صديقتها، التي يبدو أنها مغضوب عليها من الحب.

انقضى أكثر من شهرين...

وجاء اليوم الذي ينتظره الجميع ألا وهو افتتاح العمل الخيري الذي بذل فيه أمجد قصارى جهده؛ كي يكون ملائمًا لهؤلاء الأشخاص الذين تخلَّى عنهم أبناؤهم بحجة العمل وكثرة ضغوطات الحياة.

وقف يستقبل المدعوين بابتسامة هادئة؛ فهو يشعر بأنه فعل شيئًا عظيمًا، وكذلك والدته كانت تشعر بالفخر والسعادة في آن واحد، جلست بصحبة السيدات اللواتي جئن من أجل الأعمال الخيرية، وكذلك اللواتي جئن من أجل الصحافة والإعلام،

مَدَحَت السيدة هدى هذا العمل الرائع؛ إذ أردفت بإعجاب:

- بجد الفكرة تجنن والمكان تحفة يا إلهام.

أيدت السيدة سميرة حديثها وهتفت بحماس:

لو حبه تيجي تتطوعي معانا يا ريت، وأهو بالمرة تملي وقت فراغك.

أومأت موافقة، ثم راحت تبحث بعينيها عن ابنتها التي أحضرتها معها غصبًا، فهي لم تبرح غرفتها منذ وقت طويل، فأبصرتها تقف بصحبة أمنية، وميار شعرت بالارتياح قليلًا لأنها ستخرج نوعًا ما من تلك الحالة التي تمر بها.

- بقول لك إيه يا أمنية يا أختي، هي الحفلة دي ما فيهاش جاتوه وبيبسي؟

ابتسمت هنا حتى ظهرت غمازتها المحفورة على خدها الأيسر.

فتحت فمها لتجيبها لكن أغلقتهم عندما أبصرت ذلك الشاب السمج من وجهة نظرها، يقف قبالتهن واضعًا إحدى يديه في جيب بنطاله:

- مساء الخير، مبروك على الافتتاح يا آنسة أمنية.

- الله يبارك فيك يا دكتور، شكرًا كلك ذوق.

هتفت بمزاح:

- على فكرة أنا كمان شريكة في النجاح ده، ده أنا صاحبة الاسم العظيم ده.

همست بالقرب من أذنيها:

- ابقي قولي للقشطة أخوكي إني زعلانة عشان ما قالش إني صاحبة الاسم، وخد النجاح كله لوحده، بس يلا مش مشكلة ما هو وراء كل رجل عظيم امرأة عظيمة زيي كده.

ضحكت أمنية بصخب بينما رمقتهما هنا باستفهام، فغمزت لها بعينيها.
تأمل محمود وجهها الجميل الذي أبدع الخالق في صنعه ثم استأذن بالذهاب وهو يشعر بمشاعر غريبه تجتاحة لأول مرة.
بعد وقت ليس بالقليل جلس أمجد بإرهاق فوق أحد المقاعد التي يجلس عليها كلٌّ من مالك ومعتز.
زفر بضيق من حالتهما تلك؛ فهما يجلسان وأمارات الحزن تكسو وجههما، هتف بهدوء:
- وبعدين بقى منك له، هتفضلوا مصدرين الوش الخشب ده كتير، افردوا وشكم عشان الناس والصحافة.
خرج معتز عن صمته مردفًا بنبرة تقطر ألمًا:
- اوعى تحب يا ولد يا أمجد، خليك كده أحسن، ما بتاخدش من الحب غير وجع القلب، صدقني بدل ما تفضل تحب فيها والآخر تتخطب لواحد تاني غيرك، أو تحب واحدة من وهي لسه عيلة بضفاير وتطلع أختك وتبقى مش عارف تحدد مشاعرك تجاهها، هل هي أختك ولا حبيبتك.
تلك الكلمات قالها مالك بسخرية مبطنة بالوجع.
شعر أمجد بالغرابة من حديث مالك؛ إذ أردف باهتمام:
أنا مش فاهم منك حاجة يا مالك، طيب معتز وأنا عارف حكايته، إنت بقى إيه حكايتك؟!
ابتلعته غصة مريرة في حلقه، ثم غمغم بخفوت:

- بعدين هابقى أقولك.

أومأ موافقًا وبداخله الكثير من الأسئلة حيال هذين الرجلين اللذين يقبعان بجانبه.

بعد رحيل المعازيم اصطحبهما معتز إلى مكان هادئ يطل على البحر مباشرة، ثم طلب من مالك أن يقص عليه ما يحدث معه علّه يجد حلًا لمشكلته العويصة تلك.

أخذ مالك نفسًا عميقًا ثم أخرجه على مهل، وأخذ يقص عليهم ما حدث منذ عامين واكتشافه أنها أخته من الأم، كانا يستمعان إليه بفم مفتوح وعينين جاحظتين فما يحدث معه شيء غريب، لكن هناك حلقة مفقودة.

بعد أن انتهى مالك من سرد قصته، هتفه أمجد بريبة:

- ده إيه القصة دي يا ابني، ده ولا فيلم هندي، أكيد في حاجة غلط!

****

أعزائي القراء، انتهى الجزء الأول من رواية "معذبتي" لكن الأحداث لم تنته بعد، فهل يا تُرى قصـــة هنا ومالك ســتقف عند هذا، أم أن هناك شــيئًا ســيحدث ويغير الأحداث بأكملها؟!

وماذا عن مارلين ومعتز هل علاقتهما انتهت بخطبتها أم إن الحب أقوى من كل شـــيء، أقوى من العقيدة والعادات والتقاليد؟! هذا ما سـنعرفه في الجزء الثاني من رواية "معذبتي" انتظروني وللأحداث بقية.

مزاج الكتب
للنشر والتوزيع

ج.م.ع
الإسكندرية

Email: mazagelkotob@gmail.com

Mobile: 01024541339